أوراق

ملحق يعنى بآخر الاصدارات الحديثة في العالم يصدر عن مؤسسة

رئيس مجلس الادارة
رئيس التحرير
فخري كريم

العدد (1802) السنة السابعة - الاحد (23) آيار 2010

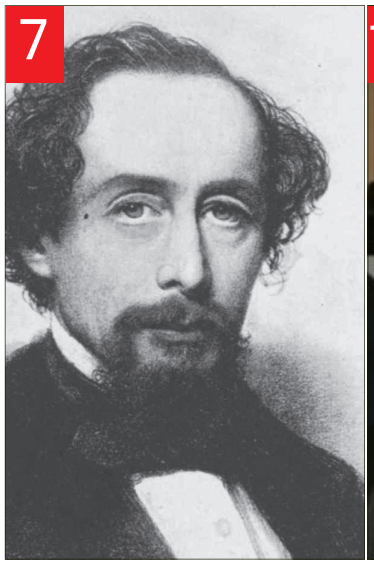

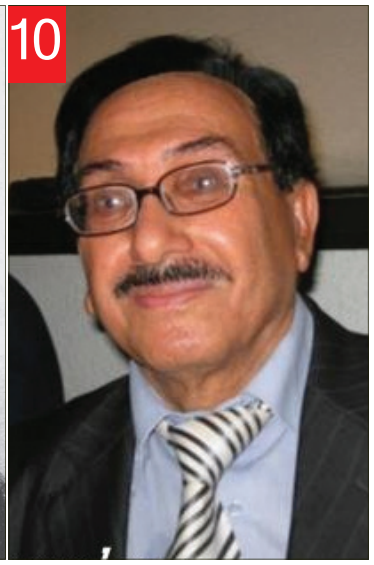

قصة بن لادن

أمراض تشفيها القراءة

والد الرئيس الفرنسي يتذكر كيف نام في الشارع

بريجيت باردو

جسدها يتحدى قوانين الجاذبية الارضية

أوراق
العدد (1802)السنة السابعة -الاحد (23)
آيار 2010

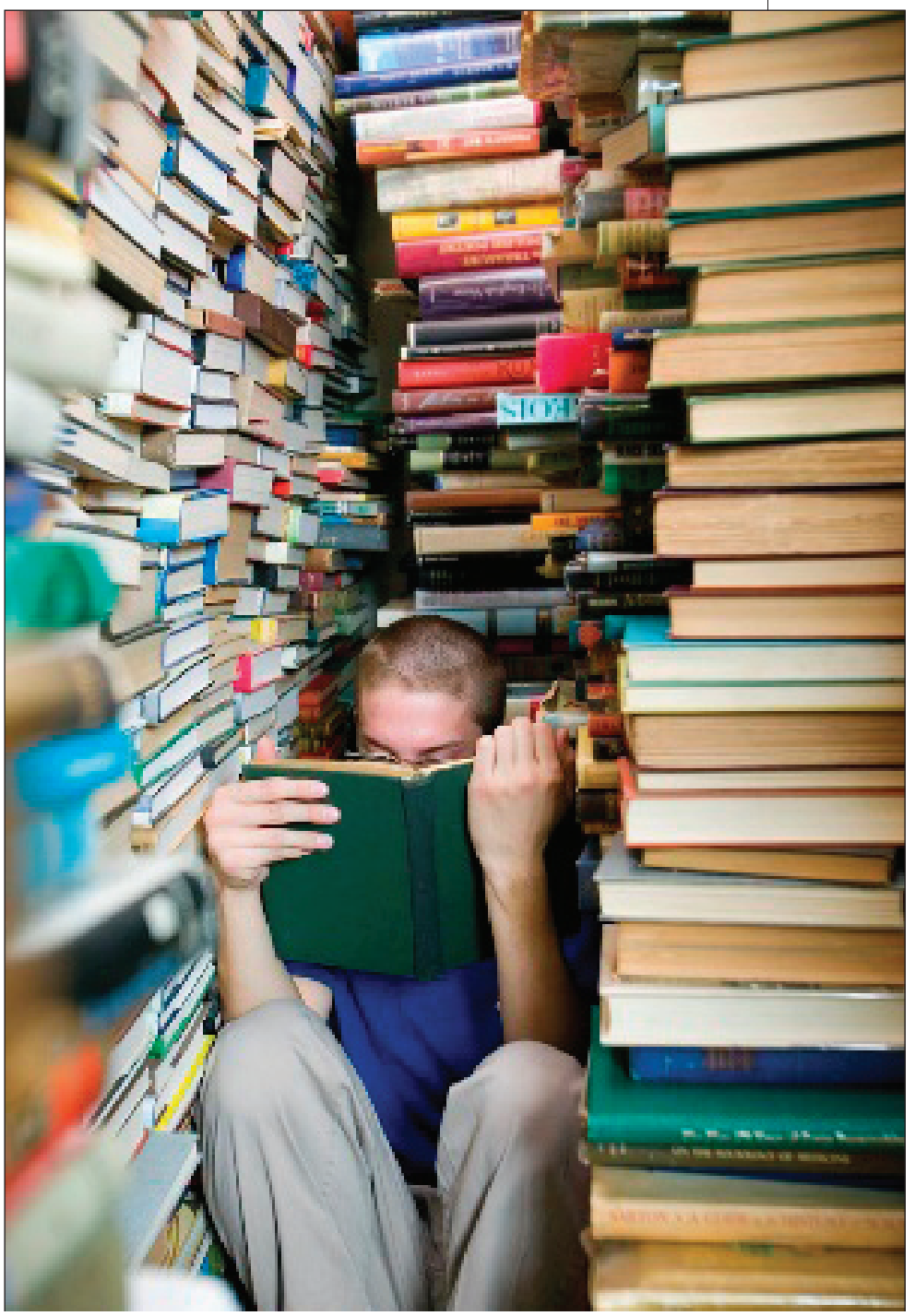

بالتجربة العملية .. أمراض تشفيها القراءة

تحقيق / مريم جعفر

العلاج بالقراءة تقنية تمتد بجذورها إلى قدماء الصينيين الذين عرفوا أهمية القراءة وفوائدها، فكانت تكتب على جدران المعابد القديمة، كلمات مثل "هنا علاج الروح" ، "هنا بيت علاج النفس
فما هو العلاج بالقراءة، وكيف يتم استخدامها وما هي الأمراض التي تعالجها ونوعية المريض الذي يمكن أن يستجيب لهذه الطريقة من العلاج؟.. أسئلة تحاول شبكة الإعلام العربية "محيط" الإجابة عنها ودعوة تقدمها لتبني وسيلة إبداعية للعلاج.

القراءة حياة

الراحل الدكتور علي كمال احد ابز علماء علم النفس كتب مرة يقول : أن "القراءة حياة" حيث تساعد في علاج 250 مرضا نفسيا وعضويا .

ويوضح كمال أن القراءة العلاجية تعني استخدام النصوص في علاج أمراض نفسية وبدنية معينة مثل الاكتئاب وانفصام الشخصية والانطواء وضغط الدم وقرحة المعدة والصداع. وفلسفة العلاج بالقراءة هي أن من يمرض بكلمة يشفى بكلمة.

ويوضح أن العلاج بالقراءة استخدم منذ العصور القديمة حيث كان المصريون القدماء يعالجون بالقراءة وقد اتخذت مكتباتهم شعار "هذا مكان علاج النفوس .. هذا مكان إنعاش الروح" .

وكذلك عرف اليونان والرومان العلاج بالقراءة، وفي العصور الوسطى المسيحية والإسلامية استخدمت النصوص المقدسة في العلاج بالقراءة، وفي العصر الحديث بدأ العلاج بالقراءة في المستشفيات، وبعد ذلك في العديد من المؤسسات الأخرى كالمكتبات والسجون وبيوت العجزة ...

ويؤكد أن القراءة تساعد في علاج مجموعة من المخاوف كالخوف من الظلام، والأماكن المرتفعة، الأماكن المغلقة وغيرها، وكذلك في علاج القلق، والمشاكل الجنسية، ومشاكل الاتجاهات كالعنصرية، والعرقية، والنرجسية وغيرها .

وقد استخدم العلاج بالقراءة في علاج مجموعة أخرى من المشاكل المعقدة مثل الافتقار إلى العلاقات، والدافعية، والتوتر، ضبط الوزن، وكذلك بعض المشاكل الاجتماعية كالطلاق، والشيخوخة، فقدان الأهل وغيرها من الأمراض.

وعادة ما يتألف فريق العلاج من طبيب بشري وأختصاصي نفسي، ويسير العلاج في جلسات ويتراوح عدد المرضى ما بين 5 إلى 10 مرضى.

لايستخدمها التقليديون

د. خليل فاضل اختصاص علم نفس ، يوضح أن العلاج بالقراءة أحدى الطرق المتعارف عليها ولكن لا يستخدمها التقليديون، وهي إحدى الطرق الإبداعية التي يدخل فيها العلاج بالموسيقى والرقص والدراما والعلاج بالإيحاء وبالتأمل وغيرها من الطرق الإبداعية.

ويقول أن هناك مرضى يحدث لهم خلل كيميائي واضطراب وظيفي في خلايا المخ العصبية مما يؤدي إلى ظهور أعراض ومن ثم يتم العلاج عن طريق تصحيح هذا الخلل إما بالدواء أو تنظيم إيقاع المخ "جلسات كهرباء" .

لا يتم ذلك بمعزل عن علاجات أخرى مثل المسرح، فهناك جزء مضطرب لم يتماثل للشفاء ويمكن للمريض إذا لم يكن يعاني هلوسات أو ضلالات، أن يتم تأهيله بالقراءة أو المسرح النفسي أو أي أشكال غير طبية بحتة أو تحليلية.

يشير الطبيب النفسي إلى أن هناك خلطا وعدم فهم لعملية العلاج بالقراءة حيث يظن البعض أنه لابد من أن تقرأ كتب مثل "كيف تساعد نفسك" ، "دع القلق وابدأ من جديد" وغيرها من الكتب المماثلة، وهذه النوعية لا تصلح.

التهيئة مهمة حتى لا يُصدم المريض أن القراءة تعالجه ولا يجب أن يعرف ذلك، كما يؤكد د. خليل الذي يروي تجربة عن إحدى المتعالجات لديه وكانت تعاني مشاكل زوجية، عندما طلبت منه أن يختار لها بعض الكتب التي تنهض بها وتساعدها وتطورها، فاختار لها رواية لأحلام مستغانمي ذاكرة جسد وبعض الروايات العالمية التي تدخل المتعالج لعوالم أخرى يتعلم منها.

ويشير إلى أن الكتب المباشرة ليست سيئة ولكن عندما يختارها المتعالج بنفسه، موضحا أنه يضع مجموعة من الكتب والمجلات بعيادته يختار منها المتعالج ما يناسبه

وعن مدى فعالية العلاج بالقراءة في الأمراض العضوية يؤكد د. فاضل أنها تخفف الآلام وتساعد على تقوية المناعة للجسم، فهناك مثلا العلاج بالضحك حيث كانوا يحضرون المرضي المصابين بالفشل الكلوي والسرطان، ويقومون بإضحاكهم فيساعدهم الضحك كثيرا جدا في تخفيف آلامهم.. كذلك القراءة أحد السبل التي تساعد على العلاج.

الفلسفة العلاجية

يتطلب توجيه المريض في العلاج بالقراءة ، الاهتمام بمعرفة خلفيته التعليمية والثقافية، وميوله واهتماماته وحاجاته وهواياته .

الاختصاصية النفسية في مستشفى ابن رشد للامراض النفسية ايمان هاشم توضح لـ (اوراق) أن هناك 6 خطوات يتحقق عن طريقها العلاج بالقراءة أولها تقديم مادة مقروءة تحقق الاستمتاع، ثانيها تحقيق التقمص أو التوحد حيث يجد المتعالج في الشخصيات من يشبهه فيتقمص دوره، بعدها يبدأ الدخول في الخطوة الثالثة وهي اختبار الموقف بشكل إسقاطي بمعني التفكير مثل شخوص العمل الأدبي والدخول في مشاكلها.

يبدأ المتعالج في الدخول للمرحلة الرابعة وهي التنفيس أو التفريغ الانفعالي، بمعني التخلص وتفريغ طاقة سلبية كانت بداخله مثل التوتر أو شيء أخر مكبوت.

الوصول إلى استبصار الشخص بمشكلاته التي يعانيها، هي الخطوة الخامسة التي فيها يدرك المتعالج ما هي مشكلته تحديدا ويضع يده عليها مثل أن يكون غير قادر على إتخاذ قراراته بنفسه أو أي مشاكل أخرى، وأخيرا نصل للخطوة المستهدفة من البداية وهي تغيير سلوك المتعالج واتجاهه.

وتشير ايمان إلى أن العلاج بالقراءة يتم عن طريقتين أولا العلاج الفردي وهو تركيز الطبيب على فرد واحد بأن يرشح له بعض الأعمال لقراءتها، وثانيا العلاج الجمعي بأن يتعامل الطبيب مع عدد من الأفراد ويرشح لهم بعض القراءات ثم يعاودون المناقشة فيها.

عبر العصور

العلاج بالقراءة ليس وسيلة جديدة حيث استخدمها الصينيون القدماء والبابليون فكانت تكتب على جدران المعابد القديمة، كلمات مثل "هنا علاج الروح" "هنا بيت علاج النفس" ثم انتقل هذا الشعار إلى البابليين والآشوريين، ثم إلى الرومان واليونان، في دلالة واضحة لأهمية القراءة في علاج الروح.

وقد شهدت القرون التالية المزيد من استخدام الكتب المقدسة والكتابات الدينية في علاج المرضى .

وفي أوروبا في نهاية القرن الثامن عشر قام البعض باستخدام القراءة لعلاج المجانين والمخبولين. وقد اشتهر بنيامين روش بأنه أول من أوصى بالقراءة في علاج المرضى، وذلك عام 1802.

وظهرت إ. كاتلين جونز سنة 1904 كأول أمينة مكتبة تقوم ببرامج ناجحة للعلاج بالقراءة في مكتبات مستشفى ماكلين في ويفرلي في ماساشوستس، في علاج المرضى عقلياً، وبرغم توقف برنامج العلاج بالقراءة بعد ازدهار كبير في ذلك المستشفى بسبب نقص المال وانتهاء عمل الأمينة الفذة في ذلك البرنامج إلا أنه يعتبر حلقة مهمة في تاريخ العلاج بالقراءة.

وخلال الحرب العالمية الأولى قام المكتبيون والأشخاص العاديون وعلى رأسهم الصليب الأحمر واتحاد المكتبات الأمريكية ببناء المكتبات وتجهيزها بالمجموعات في المستشفيات العسكرية.

وفي عام 1939 م قامت شعبة مكتبات المستشفيات في اتحاد المكتبات الأمريكية باستحداث "لجنة الببليوثيرابيا" بهدف استقصاء إمكانيات استخدام الكتب كعلاج في تغيير الاتجاهات، وبذلك اكتسب العلاج بالقراءة وضعاً رسميا في مهنة المكتبات بتبني الاتحاد له.

ويعتبر نيقولاس روباكن الروسي الأصل، المؤسس الحقيقي لعلم نفس الكتاب، والذي كرس حياته للكتب، التي كان يرى فيها أداة مهمة للتنوير.

العدد (1802)السنة السابعة -الاحد (23)
آيار 2010

تاريخ التواليت

ترجمة : عمار كاظم محمد

في آخر مقتطف خاص من كتابه الجديد حول اصول الحياة الجديدة ، يبدأ المؤلف تلك الرحلة الملتوية من البالوعة الى الصهريج وربما لايبدو أن هناك كلمة انكليزية قد مرت بتغييرات كثيرة طوال عمرها مثل كلمة " المرحاض " ففي الأصل حوالي عام 1540 كانت كلمة التواليت تشير الى نوع من القماش او قطعة صغيرة منه ومازالت تستخدم للدلالة على نوع من المناديل.

ثم غدت نوعا من القماش يستخدم التزيين المناضد ثم غدت مصطلحا لأدوات النظافة والزينة ثم صارت تعني قطعة القماش للمنضدة نفسها ومن ثم تعني عملية التزيين بحد ذاتها وتحولت لتغدو عملية التزين اثناء استقبال الضيوف ثم صارت تعني غرفة تبديل الملابس نفسها وتحولت لتعني اي نوع من الغرف الخاصة قرب غرفة النوم ثم استعملت لتعني غرفة لغسل اليدين والوجه ثم صارت تعني التواليت بحد ذاتها وهو ما يفسر لماذا يكون " ماء التواليت " وهو نوع من العطور الانجليزية يمكن أن يصف شيئا يمكن أن تمسح به وجهك وانت مسرور .

"Garderobe" كلمة أنكليزية انقرضت عن الاستعمال الآن وهي تعني خزانة الملابس او حجرة التواليت مرت تقريبا بنفس المراحل من التطور وكل بشكل اقل فتركيبتها تتكون من كلمتي "guard" و "robe" كانتا تشيران الى معنى مخزن ثم صارت تعني اي غرفة خاصة ثم تحولت الى مخدع واخيرا صارت تعني التواليت وعلى أية حال فان آخر شيء هو دائما أن تعني شيئا خاصا .

الرومان ربطوها بصورة خاصة بالخلوة والمحادثة فمراحيضهم العامة كانت تحتوي بصورة عامة على 20 مقعدا او اكثر والناس يستعملونها بصورة طبيعية كما لو ان احدا يصعد الباص في الوقت الحالي في عام 1770 كان الفرنسيون يطلقون على التواليت اسم المكان الانكليزي والذي يبدو تفسيرا محتملا حيث يعني كلمة " مرحاض " حيث اخترع القس هنري ميول الكاهن في دورست المرحاض الارضي في منتصف القرن التاسع عشر وهو بشكله الاساسي كان بشكل خزانة مرتبطة ببالوعة ارضية جافة مع مقبض يتم سحبه لتذهب الفضلات وتختفي الرائحة وكذلك فان اكثر مياة المجاري كانت تذهب الى البالوعات لكنها كانت مهملة بشكل عام وكانت محتوياتها تتسرب الى ما يجاورها من امدادات المياه وفي اسوأ الحالات كانت تطفح وكان هناك اناس مختصون بتنظيف تلك البالوعات واذا كانت هذه الطريقة في الحياة هي اقل ما يحسد عليه المرء فانا اعتقد انها لم توصف بعد .

فهم يعملون بفرق مكونه من ثلاثة الى اربعة عمال يقوم الأصغر سنا فيهم كما يفترض بالنزول الى الحفرة ووضع النفايات في سطل ثم يقوم الثاني والذي يقف عند الحفرة برفع وتنزيل السطل فيما يقوم الثالث والرابع بحملها الى عربة تقف في الانتظار وغالبا ما يعاني العمال من الاختناق وحتى الانفجارات لكونهم يعملون احيانا تحت ضياء الفانوس في بيئة غازية قوية .

في منطقة سانت جليس اسوأ مناطق لندن في ذلك الوقت كان هناك ما يقرب من 54 ألف شخص يتجمعون في بضعة شوارع ومن الطبيعي في تجمع بشري كبير كهذا ان ينتج كميات كبيرة من النفايات اكثر مما يحتمل نظام البالوعات بكثير وفي احد التقارير سجل المفتشون لبيتين ملئت اقبيتهما بالنفايات لعمق 3 أقدام وكان النهر عبارة عن" فيضان دائم من النفايات السائلة " كما وصفها احد المراقبين وكانت الجداول التي تغذي نهر التايمز اسوأ من التايمز نفسه حيث كان النهر عام 1831 يبدو ساكنا بسبب النفايات الصلبة فيه .

الى هذا المستنقع جاء شيء اثبت بشكل مفاجيء انه كارثة وهو المرحاض المتدفق وقد كان هذا النوع موجودا لبعض الوقت وقد تم بناؤها أول مرة من قبل جون هرينغتون للملكة اليزابيث الاولى وحينما قدم هرينغتون هذا الاختراع لها عام 1597 ابدت الملكة سرورا عظيما وامرت ببنائه فورا في قصر ريشموند فقد كان شيئا جديدا سابقا لعصره في ذلك الوقت وقد مرت 200 عام تقريبا الى ان قام جوزيف براهما وهو نجار وصانع اقفال حديدية باختراع المرحاض المتدفق الحديث عام 1778 فقد تم هذا التصميم بشكل عصري وتبعه الاخرون لكن النماذج الاولى منه لم تعمل بشكل جيد بل ربما بشكل معاكس في بعض الاحيان حيث كانت الغرفة تمتلىء في بعض الاحيان الى الدرجة التي كان يتمنى المالك المذعور لو انه تخلص منها .

لكن الى ان تم ابتكار الانابيب التي على شكل U ومحبس الماء وهو ذلك الخزان الصغير الذي يعيد الماء الى قعر التواليت بعد كل استعمال فان كل احواض التواليت كانت تعمل كقناة لروائح البالوعة حيث انها كانت تسرب الروائح التي لا تطاق خصوصا في الطقس الحار وقد حلت تلك المشكلة في واحد من الاسماء اللامعة جدا في التاريخ الانكليزي وهو توماس كرابر (1837-1910) الذي ولد لأسرة فقيرة في يورك شاير واكتسب سمعة مبكرة في لندن وهو بعمر 11 عاما حيث اخترع الشكل الكلاسيكي للمرحاض المكون من صهريج صغير وسلسلة سحب تحتوي على مانع للتسرب ومياه صرف صحي نظيفة خالية من الرائحة وموثوق بها.

عن : الغارديان

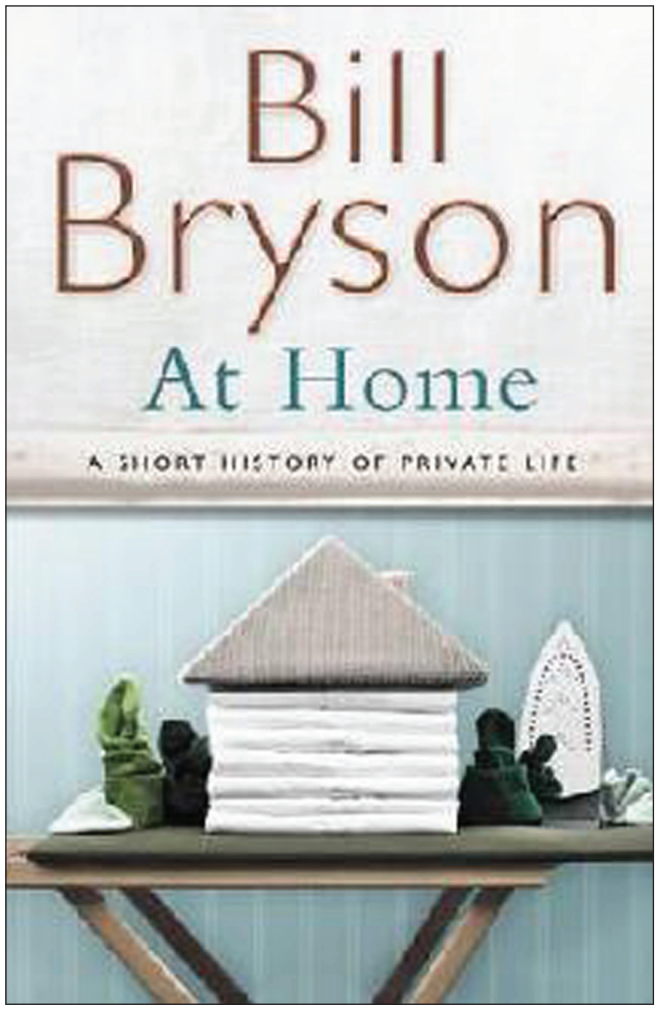

أرملة إليوت تكشف سنوات الألم في حياته

واحد وعشرون عاما مضت علي صدور آخر كتب الشاعر والناقد والكاتب المسرحي الكبير الحائز جائزة نوبل في الآداب عام 1948 توماس ستيرنز إليوت، الذي نشرته أرملته فاليري إليوت عقب وفاته بعنوان "خطابات ت س. إليوت " ولكن في بداية العام 2010، فوجئت بريطانيا بصدور كتابين جديدين يحملان عنوان " خطابات ت. س إليوت"، أما الكتاب الأول فهو إعادة إصدار للجزء الأول الذي كان قد صدر منذ 21 عاما، ولكن مع تنقيحه، وإضافة 200 رسالة جديدة له، أما الكتاب الثاني فيتضح أنه الجزء التالي، الذي يضم خطابات ومعلومات تنشر للمرة الأولى عن إليوت .الكتابان صدرا بمشاركة كل من أرملة إليوت فالري البالغة من العمر 82، والدكتور هيو هوتون أستاذ اللغة الإنجليزية في جامعة نيويورك، اللذين ساقا وثيقة مهمة في800 صفحة يتكون منها الجزء الثاني، الذي يضم رسائل نادرة تعكس كم المعاناة والألم الذي مر به إليوت مع فيفيان هاي – وود، زوجته الأولي التي بقي مرضها غامضاً طوال ثلاث وعشرين سنة دفعته في النهاية بالاتفاق مع شقيقها موريس إلى إيداعها مصحة عقلية .

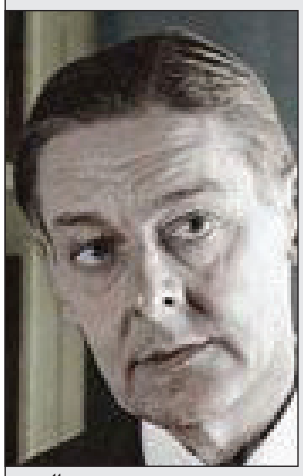
اليوت

"لم أكتب شيئا على الإطلاق منذ ثلاث سنوات، ولا أري أي احتمال للكتابة الآن، إن كتابة الشعر تستغرق وقتا طويلا وأنا لا أملك وقتا أبدا "، بهذه الكلمات يوجز إليوت بدقة شكل حياته في هذه الفترة المظلمة من حياة كاتب محبط كف عن الكتابة، بسبب كثرة مشاكله ومشاغله، ومن بينها زوجته فيفيان وود، تلك الفتاة التي تزوجها إليوت عام 1915، بعد أسابيع قليلة من مقابلتها، إلا أن الأمور لم تسر كما يجب، إذ إنه وبحلول عام 1923 بدأت مصائب الزوجين، بمرض فيفيان الغامض، الذي تلاه علامات غياب الاستقرار العقلي لديها، ليجد إليوت نفسه في اختبار صعب للغاية، عليه أن يتحلي بالمسؤولية والاهتمام تجاه زوجته المريضة، وفي نفس الوقت رغبته في الابتعاد عنها لاستئناف حياته بصورة طبيعية، فإليوت كان يعمل في مجال البنوك، وبحلول عام 1923 بدأت الكوارث تحل بعمله أيضا، حيث اختلت الأمور بسبب الحرب وسداد ديون الحرب، فانخفضت إمكانات إليوت الاقتصادية بشدة .

خطابات إليوت المتعلقة بفيفيان مؤلمة حقا، فقد تفاقمت حالتها بمرور الوقت، حتى انتهي بها الحال في مصحة للعلاج النفسي، ونفت خطابات فيفيان من المصحة ما تردد عن قسوة إليوت معها، حيث كتبت عام 1925 تقول له : "آسفة أني عذبتك وسقتك للجنون، كما كتبت لطبيبها تقول : عندما أفكر في كل ما فعله زوجي لأجلي، وفي الحياة التي دمرتها، أظل أفكر طوال الليل وأجزاء من النهار، وفي النهاية أتعجب لماذا لم أخرج وأشنق نفسي في الخارج!.

سلمى لاجروف اول مرة بالعربية

الدار المصرية اللبنانية وضعت بين يدي القارئ العربي أبرز روايات الفائزين بجائزة نوبل، رواية الكاتبة السويدية سلمى لاجرلوف" الكنز " الفائزة بنوبل عام 1909 بترجمة الناقد والكاتب المصري حسين عيد، وهي الرواية التي صدرت عام 1904، وتحولت إلى فيلم سينمائي ناجح، نقلت القارئ من خلالها – كما يقول المترجم – إلى عالم عجائبي يتجاوز فيه الواقع البشري وما وراء الواقع، ويتجلى الواقع في رواية " الكنز " بكل ما يجيش به من خير وشر، فهناك شخصيات نبيلة متواضعة، وهناك الكاهن المتواضع المؤمن الذي يبسط حمايته على من حوله ويتبنى فتاة يتيمة هي " إلزاليل " ، أما جانب الشر فيظهر من خلال ثلاثة أفراد يتسمون بالنهم إلى المال والسلطة، فيرتكبون مذبحة أثناء سرقة كاهن المنطقة . كما تعلي الرواية – على عادة سلمى لاجروف في كل كتاباتها – من شأن المرأة، كما تحض علي التكاتف الأسري والسعي نحو العدل والإقبال علي الحب المنزّه عن الغرض . الجدير بالذكر أن لاجروف التي لم يسبق ترجمتها من قبل للعربية، دخلت عالم الكتابة مصادفة وبتشجيع من صوفي آدلر التي ساعدتها على نشر جزء من مخطوط كان لديها بعنوان : " حكاية جرسنا برلنج البطولية " في مجلة تعمل بها صوفي، وحينما اشتركت في مسابقة في نفس المجلة فازت بالجائزة الأولى فكان، ذلك محفزًا لها على إكمال تلك الرواية، والسير علي درب الكتابة الوعر الطويل، حتي أنجزت فيه أبدع وأجمل الروايات.

لاجروف

العدد (1802)السنة السابعة -الاحد (23)
آيار 2010

10 كتب هــزت العالم

٥-كفاحي .. أدولــف هتلر

ابدت الكتب قوة هائلة من اجل الخير ومن اجل الشر طوال التاريخ المسجل للجنس البشري .. في هذه الصفحات سنقدم مناقشة لعشرة كتب كان لها تاثير في التاريخ والاقتصاد والثقافة والعلوم من عصر النهضة الى يومنا هذا انها كتب بالغة القوة نقدمها في ملحق (اوراق) والكتب من اختيار الدكتور روبرت داونز الرئيس السابق للمكتبة الوطنية الامريكية يبين بوضوح ذلك النفوذ الواسع للكتاب، كتاب داونز صدر في الخمسينيات من القرن الماضي اراد فيه المؤلف ان يقدم عرضا مثيرا للكتب من عدة عصور تبين القوة الهائلة للكلمة المطبوعة واثرها في التقدم البشري.

كانت كومة الحريق التي التهمت جثتي ادولف هتلر وايفا براون في العاشر من ابريل عام ١٩٤٥ محكمة في برلين القائمة على عمق كبير تحت الارض ، كانت هذه الكومة خاتمة المطاف التي كان يمكن ان يفكر فيها "هتلر" مؤلف الاوبرا ، اعظم من اعجب به الناس اعجابا حماسيا فاتخذه ريتشارد واجنر موضوعا لاوبرا جديدة عنوانها شفق الالهة"...جلجل المنظر اسفل الستار عن رواية شجوية عظمى، افتتحت قبل ذلك بجيل عندما بدأ فوهرر المستقبل سيره نحو السلطة والقوة.

وعندما قبض الحزب النازي، بقيادة هتلر، على زمام الحكومة في عام ١٩٣٣ بعد اضطرابات دامت اكثر من عشر سنوات مقترنة باعمال العنف، روع العالم بتلك الاعمال، كان نظام الحكم متهورا في تثبيت رقابته فتركت جميع انظمة الحكومة الديمقراطية، واوفقت الاراء المعارضة في غير رحمة، واضطهدت الكنائس والجمعيات الاخوية واتحادات العمال او ضمت، وقتل اليهود في اعداد ضخمة، ووجهت التهديدات علنا الى الامم الصديقة المجاورة عن طريق موجات من الدعاية.

واذ نما هتلر وتربى في فيينا (مثل شخص اخر اسمه سيجموند فرويد، كون وهو في حداثة سنه انطباعات وتعصبات واحقادا قيض لها ان تحكمه طوال بقية حياته. صب كل شيء في كتابه "كفاحي" وتبين الابواب الافتتاحية صورة موجزة مهمة من تلك السنوات الاولى.

ولد في عام ١٨٨٩ في براوبو بالنمسا على الساحل المواجه للحدود الالمانية ، ولذا كان يشعر دائما بانه الماني اكثر منه نمساوي، وكان يحتقر بنوع خاص شعب فيينا المتنعم وتبعا لرواية هتلر هو نفسه كانت اولى سني حياته مليئة بالحرمان والالام والاخفاق وعدم التوفيق وسوء التنظيم، توقفت دراسته الشكلية في المدارس وهو في الثالة عشرة من عمره ومات والداه وهو في حوالي تلك السن، فكافح في فيينا ليكون مصورا ، واذ اخفق في هذا المضمار حاول ان يشتغل بالمعمار، بيد ان افتقاره الى التعليم والى الموهبة لم يساعده على نيل مآربه.

يدعى هتلر انه اثناء وجوده في فيينا قرأ الكثير ولاسيما التاريخ ، وتأثرت افكاره بنوع خاص بكتاب عن الحرب الفرنسية البروسية التي اوحت اليه بان يفخر كثيرا بالجنس الالماني، فاقتنع بالمصير الذي كتب الله لذلك الشعب، وفي الوقت نفسه بدأ يكون كراهية حادة نحو اليهود واحتقارا شديدا للسلافيين وغير الاريين جميعا، قرر ان اليهوداولا وقبل كل شيء جامعو اموال وانتهازيون دوليون، وعادة ما يكونون اشتراكيين او شيوعيين بينما السلاف جنس اقل من الجنس الالماني وليس لديهم ثقافة خاصة بهم.

كان لاختلاط هتلر بالديمقراطيين الاجتماعيين في فيينا ان جعله يمقت الدعاية الإشتراكية والشيوعية، وبرغم انه كان تلميذاً مجدا في خطط الحرب ، فقد لازمته كراهيته للماركسية طوال حياته. وبرغم شراهته للقراءة فليس هناك اي دليل على انه فتح كتابه "كفاحي" كما كان يبغض الديمقراطية والمؤسسات الديمقراطية اشد البغض. وبدأت هذه البغضاء عندما كان يحضر جلسات الرايخسرات النمساوي في فيينا ولاحظ ما اعتبره طرقا غير فعالة.

واخيرا، اذ لم يعد يحتمل استنشاق هواء العاصمة فيينا المقيت، استمر في عام ١٩١٢ في ميونخ التي كان يطلق عليها مدينة المانية تماما، وبعد ذلك سره اندلاع نار الحرب العالمية الاولى، فتقدم للتجنيد في كتيبة بافارية، وقبل ان تضع الحرب اوزارها، جرح وتسمم بالغازات السامة، وزين صدره بالنياشين مرتين ورقي الى رتبة جاويش، وحزن لهزيمة المانيا وثارت ثائرة غضبه اذ اعتقد ان سبب هذه الهزيمة هم اليهود والماركسيون وانصار السلام، كما اغضبه واثار حفيظته قيام حكومة ديمقراطية في المانيا بعد الحرب. عندئذ عزم على الاشتغال بالسياسة.

بدأ اشتغال هتلر بالسياسة بعد عودته الى ميونيخ، فعمل لوقت ما، مخبرا سياسيا للجيش او (القوات المسلحة) ودعي لان يكون عضوا في جماعة صغيرة تسمى "حزب العمال الالماني" فقبل به، وسرعان ما غير اسم ذلك الحزب الى "حزب العمال الاشتراكي القومي الالماني" وهو نواة الحزب النازي، وبعد فترة قصيرة وبمناورة داخلية، قبض هتلر على زمام ذلك التنظيم، وابطل العادة القديمة عديمة المعنى لاصدار قرارات الحزب بأخذ اصوات الاعضاء. فصمم برنامج الحزب وتطور بامر هتلر، لارضاء طبقات العمال واستأصل شأفة "القائلين (بالسم) الدوليين" والغى الهيئات التشريعية واقر مبدأ الطاعة العمياء للقائد دون توجيه اية اسئلة.

واذ كان بذلك الحزب ٢٧٠٠٠ عضو في عام ١٩٢٣ وتؤيد هتلر عصبة عسكرية تحت امرة القائد لودندورف بينما بدأت حكومة سترسمان تترنح، ادرك هلتر ان الفرصة سانحة ليقبض على السلطة، كان له اتباعه، فدبر التمرد الشهير لحانة البيرة بوتش في ميونيخ، ولكن هذه المحاولة باءت بالفشل الذريع، وقتل فيها ستة عشر من اتباع هتلر في الطريق، وقبض على هتلر نفسه وحكم عليه بالسجن لمدة خمس سنوات خفضت فيما بعد الى سنة واحدة.

بينما كان هتلر سجينا في القلعة البافارية في لاندزبرج وجد متسعا من الوقت لاول مرة ليكتب تاريخ حياته..والواقع ان كتابه كفاحي، كان كتابا شفويا اكثر منه مكتوباً، وقد قاسم هتلر سجنه تلميذه الوفي رودلف هيس فأملى هتلر الكتاب على هيس الذي كتبه على الالة الكاتبة مباشرة، وبذا تم الجزء الاول، واذ كان اهداؤه الى الستة عشر شهيدا الذين سقطوا صرعى في معركة تمرد ميونيخ ، كان العنوان الاصلي لذلك الكتاب هو "اربع سنوات ونصف من الكفاح ضد الاكاذيب والحماقة والجبن" وتم الجزء الثاني في عام ١٩٢٦ في برختسجادين. وصف اوتو توليسخوس مادة كتاب كفاحي بانها "١٠٪ تاريخ حياة المؤلف، ٩٠٪ عقيدة، ١٠٠٪ دعاية، وهنا تحليل عادل ،ويبدو من غير المصدق اليوم ان يستولي مثل هذا الكتاب الركيك المطول ورئ الكتابة الملئ بالمتناقضات والتكرار، على عواطف امة ذات ثقافة عالية، بيد ان الموقف كان يسير على نظام موضوع، وهناك تعليقات لودويج لور عليه، التي تثير كل غامض.

كان هتلر يؤمن في التعصب بالتفوق القطري للجنس الأري على سائر الاجناس، فأخذ يعلن انه من واجب الجنس السيد وامتيازه ، ان يهزم الاجناس الاخرى. ويستغلها ويطردها او يبيدها من اجل مصلحته هو وبما ان المانية مزدحمة بالاهلين وتحتاج الى مزيد من الارض ليعيش فيها قومها..فمن حقها بصفتها القوة النوردية العظمى، ان تستولي على ارض سلافية، فتنزع السلاف من ارضها وتضع فيها الالمان، وبذا سوف تنفع البشرية كلها، على مر العصور الطويلة، من عادة امتداد الجنس الاعلى واتحاد الشعوب الالمانية المشتتة، تحت حكم واحد" لن يضمن لاية امة حرية البقاء الامساحة واسعة مناسبة، فاما ان تكون المانيا قوة عالمية، واما الا تكون هناك المانيا اطلاقا".

كذلك قال هتلرالقوة هي تحقيق الغزو..ما من شعب على ظهر البسيطة يملك شيئا مثل ياردة مربعة من الارض اكثر من رغبة اعلى او حق اسمى..فحدود الدولة يصنعها الانسان ويغيرها الانسان، فاذا نجحت امة في الاستيلاء على قدر من الارض لا حق لها فيه، فلا يكون هذا سببا في التزام امة اعلى منها بان تعترف به الى الابد..فعلى اكثر تقدير، يبرهن هذا على قوة الغازي وضعف الامم الاخرى، وفي هذه الحالة يكون للقوة وحدها.

اعترف هتلر انه كانت هناك حلول اخرى غير التوسع في رقعة الارض لمعالجة الزيادة السريعة في عدد سكان المانيا..ومن هذه الحلول تحديد النسل، وهذا مرفوض لأنه لا يتفق ونظرية الجنس السيد وهناك حل اخر لجأ اليه حكم المانيا قبل الحرب العالمية الاولى وهو التوسع في انتاج المصنوعات للاسواق الخارجية، اي زيادة التصنيع.. وهذا حل لايعجب هتلر لأنه اراد ان تغذي المانيا نفسها بنفسها وتعتمد على الاكتفاء الذاتي، وزيادة على ذلك فقد لقى معارضة عنيفة لانه يخلق طبقة عمال ريفيين ضخمة نتيجة للنظام الصناعي الضخم، والحل الثالث هو زيادة انتاج الارض الموجودة حاليا، ولكن هتلر اعترض على هذا بقوله انه حل جزئي ومؤقت. واستنتج ان الحل او العلاج الحقيقي الوحيد هو ان تستولي على اراض جديدة وراء الحدود الحالية ، وبذا يتمكن الكثير من الالمان ان يعيشوا عليها.

ولكن يحقق هتلر الاهداف التي رسمها طموحه المحلق عاليا، اقترح استخدام ثلاث طرق، الدعاية والدبلوماسية والقوة...لم يكشف المؤلف عن نفسه وعن خططه في اي موضع من كتاب كفاحي اكثر مما كشف في مناقشته لطرق الدعاية التي اعتقد انها احد اسلحة النازي الفظيعة والاعظم فعالية.وقال ماكس ارنر عن هتلر: "ربما كان اعظم استاذ في الدعاية والتنظيم في التاريخ الحديث".. ثم استطرد يقول"ولكي نجد له ندا،يجب ان يعود المرء الى لويالا، واليسوعيين".. ولكي يصل هتلر بفن الدعاية الى درجة الكمال..درس طرق الماركسيين في الدعاية والتنظيم وطرق الكنيسة الكاثوليكية والدعاية البريطانية للحرب العالمية الاولى، والاعلان الاميركي ، وعلم النفس لفرويد، فكتب يقول:

"ليست وظيفة الدعاية.. ان تزن وتتأمل في حقوق مختلف الناس، ولكن لتؤكد الحق الوحيد الذي اعدته لتناقشه وليس عملها القيام بدراسة موضوعية للحقيقة طالما كانت في مصلحة العدو، ثم تضعها امام الجماهير بعدالة علمية، وانما عملها هو خدمة حقوقنا نحن، دائما وبغير تردد،كان من الخطأ التام مناقشة جرائم الحرب من وجهة النظر التي لايمكن ان تكون المانيا وحدها هي المسؤولة عن اندلاع نار تلك الكارثة..ولكن الصواب

هتلر

وضع عبء اللوم كله على اكتاف العدو..حتى اذا كان هذا لايتفق والوقائع الحقيقية ، كما حدث فعلا..ليس الغرض من الدعاية تزويد الشبان المتحمسين بما يلهيهم ويقنعهم وما اعنيه هو اقناع الجماهير".

يبدي هتلر ثانية اقصى احتقار للجموع ، ثم ثالثة وهكذا في مثل هذه العبارات: "قطيع من الاغنام ذوات الرؤوس الخاوية"، "نجسد الغباوة" وفي اعتقاده الراسخ الذي يعبر عنه كثيرا بان البشرية في حالة الجموع عبارة عن حشد كسلان جبان وانثوي وعاطفي وغير جدير بالتفكير المعقول.

واخيرا ما في طرق الدعاية الهتلرية، مبدأ الكذبة الكبرى، فيقول: "هذه النظرية صحيحة تماما، فان عظم الكذبة عامل قوي يجعل الناس يصدقونها....فمع السذاجة البدائية للجموع تكون الكذبة العظمى اكثر تأثيرا من الكذبة الصغيرة.. لانهم كثيرا ما يكذبون في امور تافهة، ولكنهم يخجلون جدا من النطق بكذبة كبيرة ضخمة.. اذن فلن تشتبه الجموع الكبيرة في كذبة جسيمة، ولاتستطيع تلك الجموع اطلاقا ان تكون لها الوقاحة ان تفند الحقيقة الى مثل هذا الحد".. وبالاختصار كلما عظمت الكذبة كانت اكثر تصديقا لدى الجماهير.

وهناك مبدأ دعاية عظيم اخر وهو مبدأ الشيطان الفرد.

لاتربك الجمهور بتقديم عدد كبير من الاعداء وتطلب منهم ان يمقتوهم في وقت واحداقتصر على خصم واحد، وركز كراهية الجموع على هذا العدو.

وقال هتلر:"سهل عمل الدعاية باشراف الحكومة على التعليم، فالتعليم الكثير في الكتب خطأ، ويجب ان يحتل التعليم البدني والصحة البدنية المقام الاول.

وثانيا تنمية الشخصية ولاسيما بالفضائل العسكرية والطاعة والوفاء وقوة الارادة وضبط النفس والقدرة على التضحية والزهو بالمسؤولية.

وفي المقام الثالث يأتي النشاط الذهني، ويجب ان يكون تعليم البنات اعدادا للامومة.

كان هتلر يشمئز من فكرة تعليم الجميع ووصفه بانه سم مفكك ابتدعته الاباحية لتحطيمها هي نفسها، فلكل طبقة ولكل قسم من كل طبقة تعليم واحد ممكن".

وكان يعتقد ان جموع الشعب العظمى يجب ان تتمتع بنعمة الامية.

يجب ان يكون تعليم المجموعة الاخيرة قاصرا على "بث الافكار العامة التي تنقش بالتكرار في قلوب الناس وذاكرتهم". وليكن المبدأ الرائد هو ان الطفل ملك للدولة، والهدف الوحيد من التعليم هو تدريب الات للدولة.

تتمشى اراء هتلر في التعليم الشعبي مع ارائه في الديمقراطية عموما، ففي كل مناسبة كان يسخر من عدم صلاحية الدولة الديمقراطية.

غلاف النسخة الانكليزية

"الديمقراطية الغربية اليوم مقدمة للماركسية التي بدونها لايمكن التفكير فيها. انها تمد الوباء العالمي بالمزرعة التي تستطيع جراثيمها ان تنتشر فيها. وقد خلق مبدأ البرلمان، في اقصى صوره "شذوذا من الزوائد والنار"كما يحزننا ان نقول تبدو النار لي على الفور انها انطفأت .. لان هناك شيئا يجب الا ننساه وفي هذا ايضا لايمكن ان تحل الغالبية محل الفرد، ليس ممثلا للغباء فحسب، بل للجبن ايضا وما عاد مئة رأس خاو تكون رجلا عاقلا واحدا، ولا يأتي قرار بطولي من مئة جبان".

رأى هتلر ان الديمقراطية هي "النظرية الخداعة والقائلة بان جميع الناس خلقوا متساوين ، بينما اي مذهب ذي اجماع عالمي وحقوق متساوية ضار ومدمر".

استبدل هتلر مبدأ الديمقراطية بالمبدأ الرائد، ركز على الجموع التي يتوقع منها الطاعة العمياء دون توجيه اسئلة.

كان الفوهررفوق الجميع، يتحمل مسؤولية كل ما يعمل وكل ما لم يستطع عمله.

بما ان هتلر اوضح نواياه بجلاء في "كفاحي" قبل ان يتبوأ مركز الحكم في المانيا، وقبل بدء الحرب العالمية الثانية باكثر من عشر سنوات، فلماذا لم يهتم سياسيو العالم بتحذيراته؟ يرجع بعض تجاهلهم اياه الى جو الصلح العام والتفكير المفعم بالامال والرغبة في السلم السائد وقتذاك باي ثمن. وهناك عامل اخر هو القصة المدهشة للرقابة الدولية..ولما رفض هتلر التصريح بترجمة كاملة لكتابه "كفاحي" لم تتوفر باللغة الانكليزية الا طبعة معدلة حذف منها ما اراد حذفه، حتى عام ١٩٣٩وفي تلك السنة والحرب وشيكة الاندلاع، قام ناشران اميركيان احدهما يحمل موافقة هتلر ، والثاني لايحمل اية موافقة ، قاما باصدار طبعتين لم تتدخل فيها الرقابة ، وفي فرنسا في عام ١٩٣٦ عن طريق ناشر هتلر ، اقام هتلر دعوى لنشر ترجمة كاملة دون تصريح منه، الذي فيه مخالفة لقوانين حقوق التأليف العالمية.

كما نشرت في لندن طبعة مكثفة حذفت فيها معظم الفقرات المهاجمة لفرنسا،

غلاف النسخة العربية

كما حذف فيها قسم يحبذ الحرب، وبذا خففت من حدة نغمة الكتاب ليصير زائفا ومضللا.

في تلك الاثناء كانت ملايين النسخ من كتاب كفاحي، الكامل تباع وتتداول في المانيا نفسها.. وقدمت نسخة منه هدية لكل عروسين جديدين، بينما كان المفروض في كل عضو بالحزب النازي وكل موظف مدني ان يكون لديه نسخة منه. والطبعات التي ظهرت في المانيا بعد ذلك حذفت الهجوم على روسيا وفرنسا لاخفاء اغراض هتلر وتهدئة الاعداء الاقوياء الى حالة النوم.

اذا نظر الى كتاب كفاحي، من حيث الماضي يقرر المؤرخون ان هتلر لم يفهم شيئا في التاريخ. ويقول علماء الاجناس البشرية ان اراء هتلر في الاجناس هراء، ويقول علماء التربية ان اراءه ونظرياته عن التعليم ترجع كلها الى العصور الوسطى، وهي في جملتها رجعية.

ويحتج علماء السياسة على مذاهبه الحكومية التسلطية وسوء تصوره للديمقراطية، بينما يقرر خبراء الادب انه لايعرف كيف يكتب فقرة او ينظم بابا. ولخص هذا بقوله: كان هتلر نصف المتعلم خليطا من عدة تأثيرات: فن ما كيافيلي في ادارة شؤون الدولة ادارة تتنافى مع الاخلاق والقومية الرومانتيكية التصوفية لواجنر والتطور العضوي لداروين، والتعنصر الزائد لجنس بعينه لجوبينو وهاوستون ستيوارت تشمبرلن والمركب المسيحي لفيخت وهيجل والزهو الحربي الطنان لتريتخك وبرنهاردي ، والتآمر المالي للنبيل البروسي المنبوذ.. اما هو شوفر فكان حلقة اتحاد بين النظريات والعمل وبرغم كل هذه العيوب الواضحة، فان كتاب كفاحي كما وصفه احد النقاد اللاذعين واسمه هندريك وليم فان اون هو احدى الوثائق التاريخية الخارقة للعصر كله، فيضم سذاجة جان جاك روسو، مع الغضب الجنوني لاحد انبياء العهد القديم" واطلق عليه نورمان كزنز "هو اعظم كتب القرن العشرين تأثيراً..ولكل كلمة في كفاحي يجب ان يفقد ١٢٥ نفسا ولكل صفحة منه ٤٧٠٠ نفس، ولكل باب اكثر من ١٢٠٠٠٠٠ نفس".. وبالطبع انبعثت قوته من كونه انجيلا سياسيا للشعب الالماني..وقاد سياسة الرايخ الثالث من عام ١٩٣٣ حتى نهاية الحرب العالمية الثانية.

وسيظل الدكتاتوريون في كل مكان يجدون مصدر مادة اولية لاغراضهم الشريرة في كتاب كفاحي بنفس الطريقة التي ظلوا، في القرون الاربعة الماضية ، يعملون باراء ماكيافيلي.

كان هتلر يؤمن في التعصب بالتفوق القطري للجنس الآري على سائر الاجناس، فأخذ يعلن انه من واجب الجنس السيد وامتيازه ، ان يهزم الاجناس الاخرى. ويستغلها ويطردها او يبيدها من اجل مصلحته هو وبما ان المانية مزدحمة بالاهلين وتحتاج الى مزيد من الارض ليعيش فيها قومها..فمن حقها بصفتها القوة النوردية العظمى، ان تستولي على ارض سلافية، فتنزع السلاف من ارضها وتضع فيها الالمان، وبذا سوف تنفع البشرية كلها،

خزانة المدى

باسم عبد الحميد حمودي

رحلة إبن بطوطة

أشتهرت رحلات إبن بطوطة بين تجارب الرحالة العرب كواحدة من أهم الاعمال التي تصور تجواله في ارجاء العالم الاسلامي في افريقيا وآسيا وأوربا ، اضافة الى الهند وسيلان والصين .

اسم إبن بطوطة هو(محمد بن عبد الله اللواتي)، ولواته قبيلته وكنيته (ابو عبدالله) ولقبه (شمس الدين)، وهو من قبيلة بربرية عظيمة الشأن ينتشر اهلها على طول الساحل الافريقي.

كانت ولادة إبن بطوطة في مدينة طنجة في يوم الاثنين الرابع والعشرين من شهرحزيران سنة ١٣٠٤ للميلاد كما تحدث به لكاتب رحلته محمد بن جزي الكلبي ، وإبن جزي هذا هو مدوّن رحلات إبن بطوطة وهو كاتب السلطان أبو عدنان المريني الذي امره بتدوين ما يقوله إبن بطّوطة في مجلسه الذي يعقده يوميا في مضافة السلطان ويتحدث فيه عن تفاصيل رحلاته، وهو يشبه في هذا ما فعله الرحالة الايطالي ماركو بولو الذي قام برحلة الى الصين وعاد الى بلاده ليسجن في جنوة، وفي سجن هذه المدينة روى لاحد السجناء (الذي كان يتمتع بذائقة ادبية) تفاصيل رحلته وغرائبها، ثم ظهرت رحلات ماركو بولوواشتهرت بعدها.

ظهرت رحلات إبن بطوطة تحت عنوان ((تحفة النظّار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار)) وقد شمل الكتاب اخبار رحلاته وهي ثلاث.

الاولى مدتها ربع قرن بدأت من طنجة في ١٢ حزيران سنة ٧٢٥هـ (١٣٢٥ م) الى جزيرة العرب والعراق والهند والصين ثم أوربا والعودة الى فاس ، فيما كانت الرحلة الثانية الى الاندلس بين عامي ٧٥١-٧٥٢ هـ ، حيث زار مدنها وكانت خلال ذلك في عصر الطوائف والدويلات ، وكانت غرناطة آنذاك تحت ملك بني نصر الذين احتفوا بالرحالة الذي ودعهم عائدا الىفاس .

كانت رحلة أبن بطوطة الثالثة الى بلاد السودان الغربي بين عامي٧٥٣-٧٥٤هـ(١٣٥٣-١٢٥٣م) حيث خرج من سجلماسة مطلع محرّم وصولا الى (أيوالاتن) حيث قال عن سكانها: ((لهم فعال لا تتفق وأسلامهم ولاينسب أحدهم الى أبيه بل الى خاله ولا يرث الجل الا أبناء اخته دون بنيه ....أما نساؤهم فلا يحتشمن من الرجال ومن أراد التزوج منهن تزوج لكنهن لا يسافرن مع الزوج ولو أرادت أحداهن ذلك لمنعها أهلها)) .

اختصر البيلوني هذه الرحلات بعد قرن من الزمان ووقعت المخطوطة بيد اثنين من الرحالةمطلع القرن التاسع عشر هما زيتن الالماني وبوركهارت البريطاني ، فنقلاها الى مكتبتي غوته وكمبردج وكان ذلك باية الاهتمام الاوربي برحلات إبن بطوطة وتعريف العرب بها فيما بعد .

عند احتلال الفرنسيين الجزائر في عام١٨٣٠ عثروا في مدينة قسنطينة على خمس مخطوطات من الرحلات بخط إبن جزّي ونقلت الى باريس ، حيث أصدر العالمان سانجيني ودفريمري الرحلات في أربعة أجزاء سنة ١٨٥٣ باللغتين العربية والفرنسية مع مقدمة تحليلية موسعة ، وتعد هذه الطبعة أبرز طبعة للرحلات البطوطية .

في سنة ١٩٢٧ وفي بيروت نشر فؤاد افرام البستاني مختارات من الرحلات في ثلاثة كتيبات وكان ذلك بدء العمل التحقيقي للرحلات عند اكثر من محقق لسعة المعلومات فيها ولاهميتها في ادب الرحلات عند العرب وفي العالم الذي اهتم بها حيث نشرت بأكثر من خمسين لغة.

أوراق
العدد (1802) السنة السابعة - الاحد (23)
آيار 2010

راندل يقتفي اثر "الحمل الاسود" ويسد فراغ المعلومات

صناعة بن لادن ... صناعة الارهاب

الشكوك حول نسبه قد تكون وراء شخصيته السوداوية

علي عبدالسادة

هل كان اسامة بن لادن يراقب تفجيرات الحادي عشر من أيلول، كما فعل العالم، عبر شاشات التلفاز؟ وان حدث ذلك بالفعل، بماذا كان يفكر؟.
بهذا الاستفهام يستهل الصحافي المحنك جوناثان راندل حفرياته عن زعيم تنظيم القاعدة. كتابه الصادر عن دار النهار "أسامة.. السبيل الى الارهاب" بالامكان ان نعده اشتغالا بحثيا عميقا على طريق صعود رجل الاعمال السعودي منصة اهم شاغلي العالم. استخدم راندل لغة مشحونة بالعاطفة تتحكم بمفردات وتفاصيل الحدث الذي تستند عليه قصة اسامة بالنسبة للامريكيين، لقد اسهب في وصف حادثة تفجير البرجين قبل ان يفكك، مشككا، الدليل الامريكي على ظلوع بن لادن فيه؛ شريط فيديو راح راندل يدحض، يفتش عن صدقيته. يقول "انه من صنع الهواة"، لكن، في النهاية، اسامة يظهر فيه قبل عيد الميلاد باسبوعين، يتحدث عن المهمة لينطلق بعدها الرجل كزعيم راديكالي سلفي يقود جمهورا من المؤيدين، بينما هو يستثمر التكنلوجيا في مخبأ مجهول.

ميلودراما السواد

هكذا يصف راندل العالم بعد ظهور اسامة، ويواصل قراءته لتفاصيل الاعداد للحدث، بيد ان ما سطره الرجل، خصوصا عن الفترة التي تسبق تفجيرات برجي التجارة، تظهر جماعة القاعدة وكانها شلة من الستينيات تقود تحركات ثورية مسلحة. بن لادن، بحسب راندل لا يعرف شيئا عن التفجيرات سوى قبل ايام من وقوعها، بل انهم – المنفذون – جعلوه يستمع الى صوت ارتطام الطائرة المختطفة باحد الابراج عبر موجة مذياع خاصة.

بن لادن يقول لضيوفه المفعمين بالفرح ساعة وقوع الحدث، وبعد سماع صوت الانفجار الاول: "مهلا، أصبروا .. ستسمعون المزيد".

لكن بن لادن كان مُنظماً دقيقا للمجاميع الانتحارية. كان قد جعلَ كلا منها في ظلام لا تعرف بوجود الاخرى، واستخدم ما توفر له من تقنيات حديثة للسيطرة عليها معا وادارتها بالطريقة التي افضت الى " نجاح" عملية أيلول.

راندل قدم في كتابه هذا كيفية صناعة رجل مثل بن لادن، ورغم انه يذهب بين حين واخر الى مواضع امريكية داخلية معلقا على تأثير احداث ايلول على السياسة الامريكية، الا انه اجتهد كثيرا في ملاحقة اثر اسامة.

انه يحاول ملء فراغ خلفه فقر المعلومات عن الرجل، اضاء جوانب من حياته وشخصيته والعوامل والحوافز والمؤثرات التي دفعته ليصبح المطلوب الرقم واحد في كل دول العالم، مثيراً حوله الجدل لمعرفة أسراره، كما لم يفعل أحد من قبله. ولم يغفل راندل "الحماقات الامريكية" التي ساهمت في صناعة "القاعدة". وفي ذات الوقت يرى ان اسامة وجموعة المتطوعين الاوائل في خطه – وكان حين اختارهم شخصيا القى فيهم خطابا باليمن – كلهم ضحية الخيبات في الشرق الاوسط.

وهنا يعتقد راندل – من مجموعة خلاصات لقراءة كتابه المطول – ان التركيبة الاجتماعية الحضرمية – حضرموت – وتعرضه لتحولات اجتماعية ونفسية جعلت منه رجلا راديكاليا بخط سلفي ديني. لكن من المناسب هنا ان نمنح في هذا التعليق على هذا الكتاب نصيبا جيدا للجزء المتعلق بنشأة اسامة.

حفريات في الماضي

يبدو لمن يقرأ كتاب راندل انه مشغول بخلفية الرجل كثيرا وراح يقتفي اثاره السابقة، حين كان رجلا عاديا، وكانت البداية من حضرموت، حيث يغادر محمد بن لادن (الاب) واثنان من اخوته، وكان الثلاثة عمال بناء متواضعين، قريتهم حصن باهشن في أقاصي وادي دوعان في اليمن أواخرَ عقد العشرينيات من القرن الماضي.

يقول راندل ان الحضارمة الفقراء مشهورون بالترحال وقد أقامت جالية كبيرة منهم على مدى قرون في اندونيسيا التي كانت آنذاك مستعمرة هولندية. انضمّ الاخوة الثلاثة الى مجموعة من المسافرين في قافلة من الجمال اتجهت نحو جدة البوابة البحرية لمكة. كانت رحلتهم التي قطعوا فيها ما يقارب الف ميل من القساوة والخطورة بحيث قضى فيها نحبَه احد الاخوة الثلاثة، وحتى في العام ١٩٩٩ تطلبت الرحلة من صيّون، كبرى المدن في ذلك الاقليم، الى باهشن اربع ساعات في سيارة رباعية الدفع على طريق صخريّ غير معبّد.

كان محمد بن لادن – والد اسامة – رجلا طويل القامة داكن البَشَرة بَشِعاً لا يرى إلا بعينٍ واحدة وكان أنقرَ الوجهِ (نتيجة مرض الجُدَري) أميا لا يعرف من القراءة والكتابة شيئا حتى أنه لم يكن يعرف كيف يوقّع اسمه. لكنه فرض احترامه عالميا على ما تمتع به من الاندفاع والجرأة اللذين لا يلينان. كان يجد متعة كبيرة بأن يثير دهشةَ مهندسيه الاجانب واستغرابَهم حين يحلُ ذهنيا المسائل الحسابية المعقدة فيما هم لا يزالون في أخذ وردّ مع مسطرتهم المزلاجية. "كان أميا"، قال أحد المهندسين الفلسطينيين، "لكن كان في رأسه جهاز كومبيوتر".

كان قد حقق شيئا من الشهرة وبنى اسما لنفسه بعد أن أنشأ عددا من القصور لافراد من العائلة المالكة، لكنّ الفكرة الاكثر ألمعيّةً التي خرج بها هي أن يقنع الملك، الذي كانت تدهمه السنون وينهكه داء التهاب المفاصل، بأن يبني له قصرا تستطيع فيه سيارة الملك أن تصل به من معبر انحداري خاص الى الطابق الأول فيترجّل منها على بعد خطوات من غرفة نومه. تقول الاسطورة إن عبد العزيز المتنبّه والشديد الحذر وافق على استخدام هذا المعبر لكن فقط بعد أن يسلكه بن لادن مراراً، صعودا ونزولا، راكبا أكبر سيارات عبد العزيز واثقلَها، وقد صادف أن تكون السيارة مثقلة بالقطع النقدية ذهباً وفضة كما لو أنها خزانةُ الدولة تسير على أربع عجلات.

"محمد والمملكة كَبُرا معاً"، كما يتذكر موظف خدم طويلا للصحافي راندل، "وقد كبرتْ البلاد سريعا جدا". مثابرة محمد على خدمة الملك بجد واخلاص أتت ثماراً يانعة عندما حصل على عقد لانشاء أحد أكبر الطرق بين جدة والمدينة، أما الطريق الأشهر والأهم من هذا فهو الذي امتد بين جدة والعاصمة الصيفية الجبلية الطائف وكان انجازا هندسيا مهما آنذاك اختصر الرحلة بين المدينتين من ثلاثة ايام بلياليها ركوبا على الجمال الى ثلاث ساعات. ترسخت الثقة بمحمد بن لادن الى درجة أن الملكيْن الأوليْن كانا يغدقان العقود على شركته حتى من دون أن يطلبوا عروض اسعار من شركات منافسة.

الصبي السابع عشر

شيئا فشيئا أصبحت شركة بن لادن أكبر الشركات الانشائية في المملكة (وبإدارة أولاده اصبحت احدى اكبر شركات الانشاء في الشرق الاوسط لا بل أبعد منه).

كان أسامة السابع عشر بين أربعة وعشرين صبيا لمحمد، وفي حين كانت ثلاث من زوجات محمد الدائمات سعوديات فان معظم النساء الاخريات اللواتي تزوجهن، وليس كلهنّ، سعوديات ايضا. كان يبدلهنّ بين الحين والآخر عبر تطليق احدهن.

والدة أسامة، عليا غانم، ولدت في عائلة من الطبقة العاملة في مدينة اللاذقية، الميناء السوري على المتوسط، وكانت في عشريناتها الأولى عندما تعرَّفت في اللاذقية عن طريق أخيها إلى والد أسامة وذلك في العام ١٩٥٦ وما لبثا أن انفصلا بُعَيْد ولادة اسامة في العام التالي، او على الأقل هذا ما صرّحت به عائلتها في لقاءات صحافية في العام ٢٠٠١ انطوت على معلومة واحدة على الأقل غير صحيحة وربما أكثر، وهنا يقول راندل: "هذا إذا شئنا أن نصدّق ما قاله اصدقاء محمد بن لادن السعوديون". فقد قيل عن لسان احد أقرباء عائلة غانم إن العائلة من الطائفة السنية، لكن مدينة اللاذقية هي العاصمة غير الرسمية للطائفة العلوية.

جدة كانت المدينة التي انتقل اليها أسامة، المولود في العام ١٩٥٧، بعد أن تزوجت أمه من حضرميّ آخر هو محمد العطاس وقد انجبت منه فيما بعد ثلاثة صبية وبنتا واحدة. ويعتقد راندل ان كيفية حصول هذا الزواج تعكس الطريقة التي يدير بها رجال المال والنفوذ في الخليج حياتهم الشخصية، فقد روى احد أصدقاء محمد بن لادن السعوديين أن هذا الاخير سرعان ما أصابته عليا بالملل ولم يعد يهمه أمرها، كما كانت حاله مع سواها من النساء الكثيرات، لكنه شاء أن يضمن لها زيجة من العطاس الذي كان يشغل وظيفة مكتبية ثابتة في مؤسسة بن لادن.

ام اسامة

مصادر راندل الصحافية تكشف له معلومة قد تفسر وتغير الكثير من القضايا المتعلقة باسامة. ينقل راندل عن شخص سعودي محمد بن لادن لم يعقد قرانه رسميا على عليا (ام أسامة)، فاذا صح هذا الكلام فهل تراه كان السبب في أنّ بن لادن كان قد تبنّى وجهة النظر الوهابية الصارمة حيال الطوائف الاسلامية الاخرى، أو أنه شاء التزامَها حفاظا على المظاهر في بلده الجديد؟ في جميع الاحوال لا يمكن أن تكون والدة اسامة المرأة الوحيدة التي عوملت بهذه الطريقة في السعودية في عقد الخمسينيات من القرن الماضي يوم كانت العبودية، الملغاة نظريا، لا تزال تمارَس على أرض الواقع.

أسامة الطفل

وتبدو خبرة راندل في صناعة شبكة علاقات واسعة لضمان مصادر المعلومات جلية حين يدقق في نسب اسامة، ليقول: "ظاهريا كان اسامة طفلا سعيدا، واذا شئنا أن نصدّق احدى

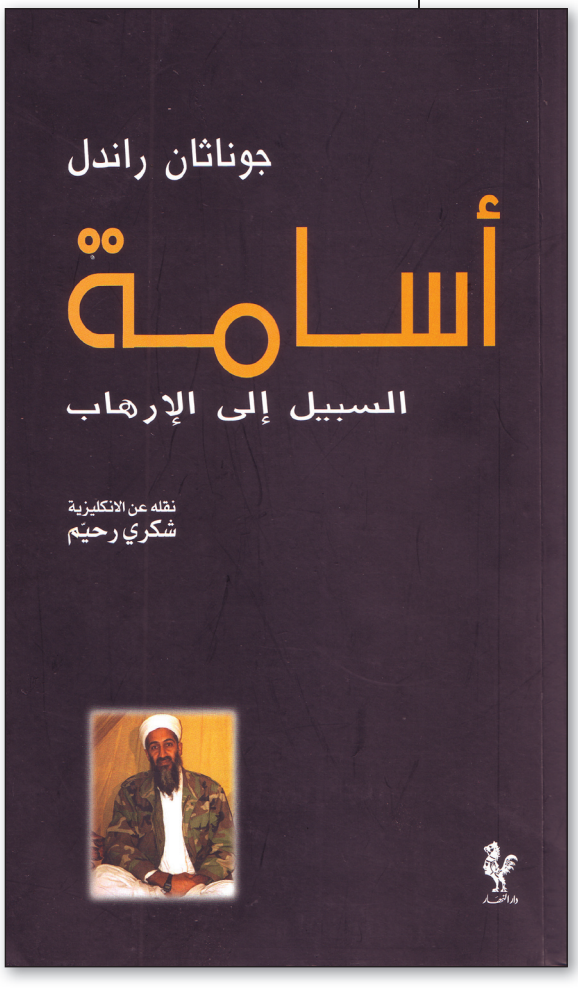

راندل قدم في كتابه هذا كيفية صناعة رجل مثل بن لادن، ورغم انه يذهب بين حين واخر الى مواضع امريكية داخلية معلقا على تأثير احداث ايلول على السياسة الامريكية، الا انه اجتهد كثيرا في ملاحقة اثر اسامة.

النساء الاسبانيات التي تدعي أنها صادقت اسامة يوم كان، وهو في الرابعة عشرة، يتابع دورة صيفية مكثفة في اللغة الانكليزية في أوكسفورد، فقد أسرّ إليها بأن والدته "لم تكن زوجةً بحسب الشريعة" وانما كانت "خليلة" محظية، وأضاف أسامة راويا لتلك المرأة أن أمه كانت "جميلة جدا وهذا ما لفت اليها انتباه أبيه". غير ان راندل ينتقل الى مصادر معلومات جديدة في مكان اخر، وهو جدة السعودية:"هناك ايضا قصص أخرى تدور في أروقة جدة وصالوناتها تصف عليا بـ(الزوجة العبدة) كما تصف أسامة نفسه بأنه (ابن العبدة).

لكن راندل يذكر معلومة جديدة:"مهما كانت هذه القصص والاقاويل قاسية جارحة بالنسبة إلى أسامة، فقد كان – ولا يزال – قريبا جدا من والدته ومن زوجها العطاس".

نشأ أسامة نشأة حضرمية صارمة، وحتى كولد طفل ذهب مع والده في رحلة تقشف صحراوية القصد منها التعرّف على خشونة الحياة بحيث تعكس في الآن عينه موقف محمد حيال العمل الجدي المتطلب جهدا وعرقا، والحاجة الى البقاء على صلة حية بحقائق الحياة الكادحة التي عاشها في مقتبل عمره. إنها سيرة كررها اسامة مع اولاده الذين تعلموا ركوب الخيل والسير بأقدام عارية على رمال الصحراء اللاهبة.

وينقل راندل عن حضرميّ آخر عرف أسامة صبيا يافعا يتذكر أن أباه هو قد أعطاه عملا وهو في التاسعة من عمره فطلب إليه أن يسجل اسماء عماله جميعا ويضع الى جانب كل اسم من الاسماء المبلغ الذي يقبضه.

رحيل بن لادن الاب

ببلوغ اسامة العاشرة من عمره، وافت المنون أباه إثر سقوط طائرته الـ Cessna محطمةً في منطقة جبلية قرب أبها في الجنوب الغربي أثناء محاولة الطيار الأميركي الهبوط بها في تلك المنطقة.

كان محمد بن لادن يقصد المنطقة لمراقبة سير العمل في أحد مشاريعه لمدّ طريق جبلي آخر. يومَها حتى الكبار من بين أولاده كانوا في عشرينياتهم الأولى. كان الرابط بين العائلة الحاكمة في السعودية ومحمد بن لادن من الوثوق والقربى بحيث دفع الملك فيصل الى مخاطبة اولاد بن لادن بالقول "انتم جميعا اولادي الآن".

كان أسامة من حين الى آخر يلتقي إخوته وأخواته من ابناء بن لادن، خصوصا منهم سالم وبَكر، وهذا الأخير كان الأخ الأكبر بعد سالم المفترض أن يتسلّم مكانه على رأس الشركة التي تضمّ اعمال بن لادن الاساسية والتي باتت الآن تُعرف بـ "مجموعة بن لادن السعودية". لكن أولاد بن لادن كانوا كثرة وما لبث الاحفاد أن صاروا هم أيضا كثرة حتى أن فتراتٍ زمنيةً طويلة بلغت أحيانا سنوات دون أن يرى أحدهم الآخر، وكان العديد من الابناء والاحفاد إما أنهم لم يتعرفوا على أسامة أو أنّ سنينا طويلةً مرت دون أن يروه. في مثال على ذلك أنّ Scott MacLeod، الذي أجرى مقابلة صحافية مع أسامة لمجلة Time الاميركية في أوائل العام ١٩٩٦ أفاد بأن أحد أخوته قد أصابته الدهشة عندما علم بما كانت عليه الحال الحقيقية لـ "الحمَل الاسود" لعائلة بن لادن، وذلك لأن هذا الأخ لم يكن قد رأى أسامة منذ الثمانينيات من القرن الماضي، وهذا لم يكن الوحيد من بين أخوته الذي أذهله وضع أسامة.

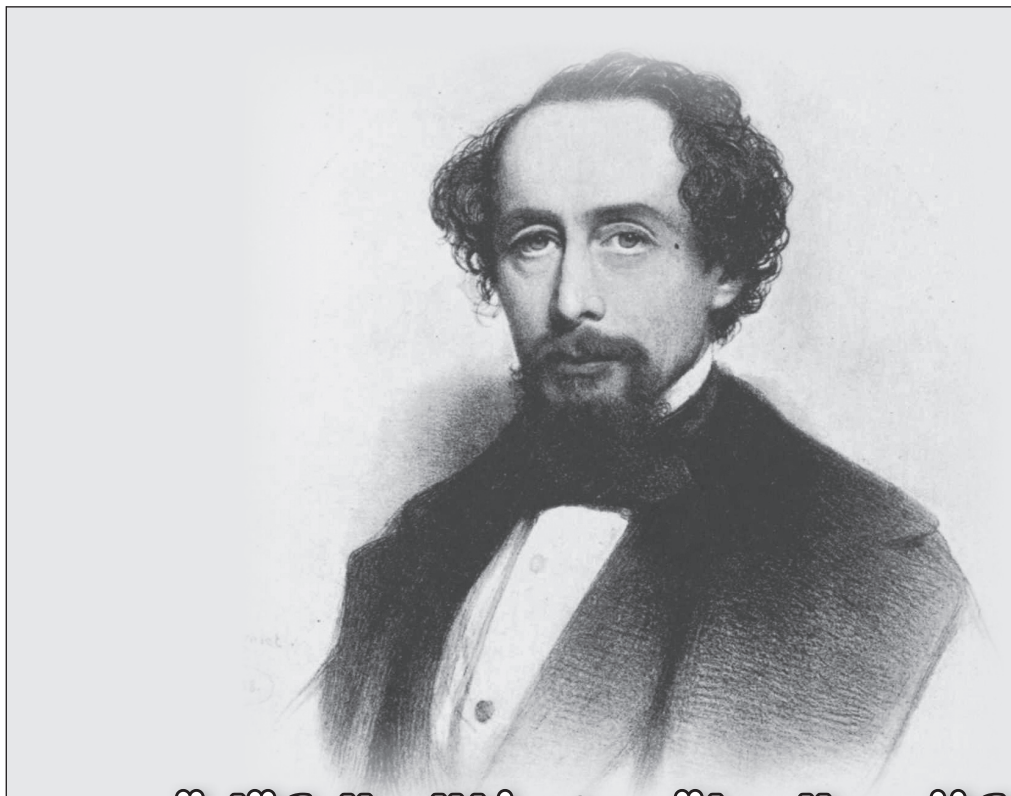

ديكنز .. الحياة من خلال الكتابة

قدّم الناقد الانكليزي «مايكل سلاتر» العديد من الأعمال حول الكاتب الشهير تشارلز ديكنز. ولا يتردد في القول إن الأسرار التي تحيط بحياة الروائي ديكنز ليست أقل عمقاً أبداً عن الأسرار التي تحيط بالشاعر شكسبير. هذا مع فارق كبير هو أن أسرار الروائي تمتد جذورها إلى أعماق تجربته وشخصيته. وينقل عن «ديكنز» نفسه قوله في أحدى رسائله عن سلفه الكبير: «أعتقد بأنه من حسن حظ الشاعر شكسبير– عدم معرفة إلا القليل عنه، أما أنا فأخشى كل يوم أن يخرج أي شيء جديد».

كانت خشية ديكنز «تعود»، كما يقول المؤلف، إلى حالة «الفشل العائلي» التي عاشها. فوالده كان بحاجة دائمة للمال، ثم دخل السجن بسبب عدم قدرته على سداد ديونه. وفي سن الثانية عشرة كان على تشارلز أن يذهب للعمل في معمل للصباغة. كانت تلك هي الفترة التي بدأ يراقب فيها حياة البشر وسلوكياتهم اليومية. وما سيجد في ما بعد صداه في رواياته التي جرت ترجمتها إلى جميع لغات العالم الحيّة.

و«تشارلز ديكنز، الحياة من خلال الكتابة» هو إلى حد كبير «كتابة عن الحياة»؛ الحياة التي عاشها تشارلز ديكنز. ويبيّن المؤلف كيف أن المواضيع التي كتب عنها «تتقاطع» إلى حد كبير مع «المفارق» الأساسية في مسيرة حياته بالمجتمع اللندني خلال القرن التاسع عشر.

وكان قد بدأ كتابة «القصص» منذ سن العشرين بالعديد من الصحف والدوريات، وفي أحيان كثيرة على هيئة «حلقات» شهرية. وفي عام ١٨٣٦ تزوج من ابنة رئيس تحرير «ايفنينغ كرونيكال» وأنجبا ١٠ أطفال.

ويرى مؤلف هذا الكتاب أن مصدر «الطاقة» الكبير الذي دفع تشارلز ديكنز في عالم الكتابة كان مزيجاً من الألم الذي سببه له والده اللاهث دائماً وراء الاكتفاء مادياً ومن «الثقة» الكبيرة بالنفس. ويتم التأكيد في هذا السياق على أن علاقته المتوترة باستمرار مع أخته «فاني» وجدت صداها الكبير في مختلف أعماله الإبداعية.

كانت «فاني» قد توفيت بمرض السل، وعاصر تشارلز فترة احتضارها بكثير من الألم. وينقل عنه المؤلف قوله في إحدى مذكراته عن ذلك: «في الليل، كانت رائحة الأوراق المتساقطة في الغابة، حيث كنا نسير عادة عندما كنا أطفالا صغاراً، تنتشر حولها، إلى درجة أنها كانت تميل برأسها المتعب بحثاً عن تلك الأوراق المبعثرة في غرفتها».

ويشير المؤلف أن ديكنز كان يلجأ دائماً في أعماله إلى استخدام تفاصيل «حسيّة» من الحياة، ويربطها بمشاعر مختلفة من الحزن أو الخوف أو الفرح، كي يحرك مخيلة قارئه. إنه لا يهتم أبداً بالتعميمات التجريدية.

بل يفضل أن يدفعنا للبحث عن «أوراق الأشجار المبعثرة»، مع علمنا أن الأمر مجرد ذكرى. وهذا ما عبّر عنه ديكنز نفسه بالقول: «أجلس دائماً للكتابة، وأحسّ أن قوة حميدة تكشف لي عن كل ما أريد، وتدعوني للانتباه إليه، بحيث إنني لا أخترع شيئاً. فقط أكتب ما أراه».

«إن المأساة والخيال لا ينفصلان بالكاد من ذهن ديكنز»، كما يكتب المؤلف. لقد تأثرت كتابته دائما بحياته وبعدد من المواقف المتجذّرة في أعماقه. وعنصر ثابت آخر لديه تمثّل في الحكايات الشعبية والتراثية التي سمعها أثناء طفولته ومراهقته.

هكذا ظل لديه حس «اللقاء مع الجمهور»، كما في المسارح الشعبية أيضا. ومن هنا أيضا أحسّ ديكنز بوجود «رابطة شخصية» مع قارئه، حيث كانت زيادة التوزيع لا تعني له شيئاً، فالوصول إلى القارئ أبعد وأهم بالنسبة له من المسألة التجارية.

لقد تحدث دائماً عن علاقة «التعاطف والثقة» بين الكاتب والقارئ. الكاتب يطمح لنيل اهتمام القارئ، لكن عليه أيضا أن يحس بالمسؤولية حياله. «إن كاتباً لديه قراء كُثر عليه واجب أن يكتب وأن يكون مسؤولا»، يقول ديكنز. وبهذا المعنى كان «كاتباً ملتزماً» بالاهتمام بقضايا ذات طابع إنساني وتهم القارئ في الوقت نفسه.

ويركّز المؤلف على القول إن ديكنز أراد أن تكون «حياته الخاصة» مدعاة للاحترام في الحياة العامة. لقد تزوّج باكراً. وأنجب ١٠ أطفال. وقد ظلّ لسنوات طويلة وفيّاً بعد الزواج إلى أن صادف «نيللي تيرنان»، الممثلة الشابة ابنة الـ١٨ ربيعا. كان عمره آنذاك ٤٥ سنة.

لقد عاش بعدها «ثنائية» في حياته، تركت أيضا آثارها في أعماله الأدبية. هذا ما يبدو من واقع أن رواياته التالية كانت حافلة بشخوص الرجال الذين يعيشون حياة سرية في ظل «ازدواجية الهوية».

بالمقابل كانت «التوترات» التي رافقت حياته الجديدة ومحاولاته المتنوعة للتبرير، والتي رافقته ما بقي من حياته، دفعته إلى الانغماس في العمل أكثر، الهروب إلى العمل، إذ إن «الراحة لا مكان لها بالنسبة للبعض في هذه الحياة»، كما ينقل عنه المؤلف قوله. ثم يؤكد أنه كان طوال مسيرة حياته ممزقاً بين مسؤوليات أسرته الكبيرة والواجبات الاجتماعية الكثيرة والنقاشات والجدل حول أعماله واللقاءات السرية لاحقا مع «نيللي».

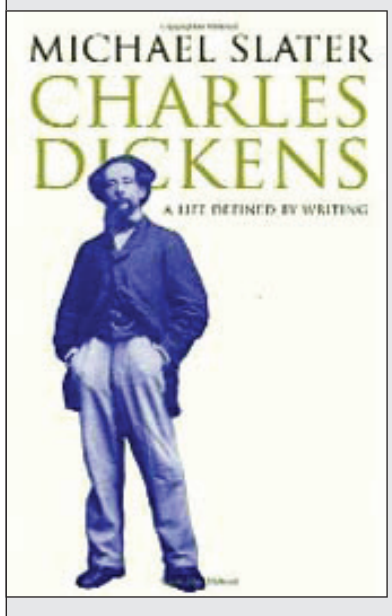

لقد توفي تشالز ديكنز، أحد أكبر أعلام الأدب العالمي، عام ١٨٥٧، بعد حياة حافلة بالأحداث والمنعطفات، وممزوجة بـ«خيط من التشاؤم»، يؤكده عليه المؤلف في جميع فصول هذه السيرة.

شارل ديكنز الحياة من خلال الكتابة
تأليف: مايكل سلاتر
الناشر: جامعة يال ٢٠١٠

العدد (1802)السنة السابعة -الاحد (23)
آيار 2010

اعداد: اوراق

في كتابه من نجمة الى نجمة يتحدث المخرج الفرنسي الراحل روجيه فاديم عن علاقته مع زوجاته جميلات السينما في القرن العشرين بريجيت باردو ، كاترين دينوف ، وجين فوندا.. تزوج فاديم خمس نساء الا ان ثلاثا منهن سيطرن على ذكرياته فقرر ان يكتب عنهن كتابا اشبه بالسيرة الذاتية وهو يقول عنه : ان فكرتي من كتابة هذا الكتاب ونشره ليست بالتأكيد استغلال عنصر الاثارة ولكن بالعكس اردت به تحية احترام لنساء بارزات عرفتهن.

روجيه فاديم يروي قصته مع بريجيت باردو:

جسدها يتحدى قوانين الجاذبية الأرضية

في هذا الكتاب يتحدث فاديم عن النساء اللاتي تزوج منهن. وعن نفسه في اقل الحدود، خاصة الافلام التي كان يعمل فيها معهن، يقول عن حياته الخاصة :

كان والدي (ايغور بيليميكنوف) قنصل فرنسا قد توفي في الرابعة والثلاثين من عمره ، اما عمي زوج امي فقد كان مهندسا مدنيا ورجلا فذا وكان اصغر من امي بعشر سنوات

ثم يذكر في موقع اخر ان والده من اصول روسية اما فيلمه الاول الذي صنع اسطورة بريجيت باردو (وخلق الله المرأة)عام ١٩٥٦ في هذا الفيلم كما يقول فاديم قدمت صورة المرأة كما يتمناها الرجال

نقدم في هذا العرض الفصل الذي خصصه فاديم لبريجيت باردو.

خلق الله المرأة

منذ ان رسم بوتيتشيللي لوحته التي تصور وجه فينوس، لم ير العالم ثانية ولادة الهة الحب من قلب الامواج سوى في الثاني عشر من مايو عام ١٩٥٣ في الساعة الحادية عشرة والدقيقة الثلاثين، عندما شاهدوا حورية تخرج من البحر كل شيء في ذلك الوجه كان قد خلق للضحك واللذات ، الفم البرئ الشهواني، والوجه البيضاوي الرائع، والانف الدقيق والخدان اللذان احتفظا باثار الطفولة.

ثم تظهر الرؤيا: عنق بجعة وكتفان ضامرتان صدر عار وخصر نحيل بامكان رجل ان يحيطه بيديه، وردفان ينحنيان بروعة على قمة فخذين طويلين مشدودين، وساقين ساحرتين فوق قدامى راقصة، واضافة الى كل هذا لباس سباحة من قطعتين يكشف اكثر مما يخفى من ذلك الجسد المثير الرائع.

كانت هذه المرأة هي بريجيت باردو، ان ما نعرفه عن بريجيت هو جمالها واغراؤها المتغطرس، وكانت تمثل الشهوة وحب الحياة، ولكننا نعرف القليل القليل عن قلقها ومخاوفها وتلك الميزة عندها لاجتذاب التعاسة والتي قادتها غالبا الى حافة المأساة ان الذي ادهشني عندما قابلت بريجيت هو وقفتها بقامتها المشدودة ورأسها المنتصب، وكذلك طريقتها في رؤية الاشياء والناس، فالكثير ينظرون ولكنهم لايرون.

عندما التقيت بها كنت ارفض ان يرفض القيام بعمل ثابت كنت اتعلم اكثر من بطالتي وكانت بريجيت ، تثير اضطرابي بسبب ذلك الخليط العجيب من البراءة والانوثة من الوقاحة والحياء، وقد وصلت دهشتي الى مداها عندما تعرفت على والدها ووالدتها، وكانا صارمين بصورة مطلقة، في حين ان ابنتهما كانت عكس ذلك على طول الخط.

يعترف فاديم عندما كان ما يربطه ببريجيت باردو مجرد علاقة، أي قبل الزواج منها، ان الجنس بالنسبة لها لم يكن يعنى الخطيئة، ولم تكن عندها عقد نفسية، فلا خيال لأب يختلط بملاءات السرير، ولا قلق روحاني او ديني، ولا أي شيء من ذلك، كانت حواء قبل ان يتعكر مزاج الرب في جنة عدن، ولم تعتبر العري ابدا سلاحا سريا يسمح للنساء بالاغواء ، فالعري بالنسبة لها لم يكن اكثر من ابتسامة،

ومع ذلك كان في طبيعتها بعض التناقض، اذ انها كانت قبل كل شيء رومانتيكية برغم تحررها الكبير فالعواطف والجو المحيط والديكور، كانت لها اهميتها مثل اللذة تماما، وكانت تتألم عندما تكون على علاقة باكثر من رجل في وقت واحد، ولم تستطع ان تتغلب على هذا التناقض ان تظل مخلصة وتذعن في الوقت نفسه، لمتطلبات جسدها وقلبها.

نفس الشيء كان على الصعيد الاجتماعي كانت هناك "بريجيتان"الاولى متمسكة بالقيم البرجوازية مثل حب التوفير، الخوف من المغامرة، المسكن الصغير، حب الاثاث المزخرف والتحف الصغيرة، والثانية متطورة متقدمة على عصرها، مستقلة اثارت استنكار فرنسا والقارات الخمس لانها لم تكن قد تلقت الاعداد الكافي لنبوغها.

وقبل كل سفرة من سفراتي كانت تطلب مني ان اصورها بملابسها وعارية ، كانت تريد مني ان احمل معي وجهها وابتسامتها وجسدها، كانت تكتب لي كل يوم، وكانت رسائلها خليطا من "الولدنة" والتصريحات الغرامية الملتهبة والتخيلات الجنسية والاحلام الرومانتيكية

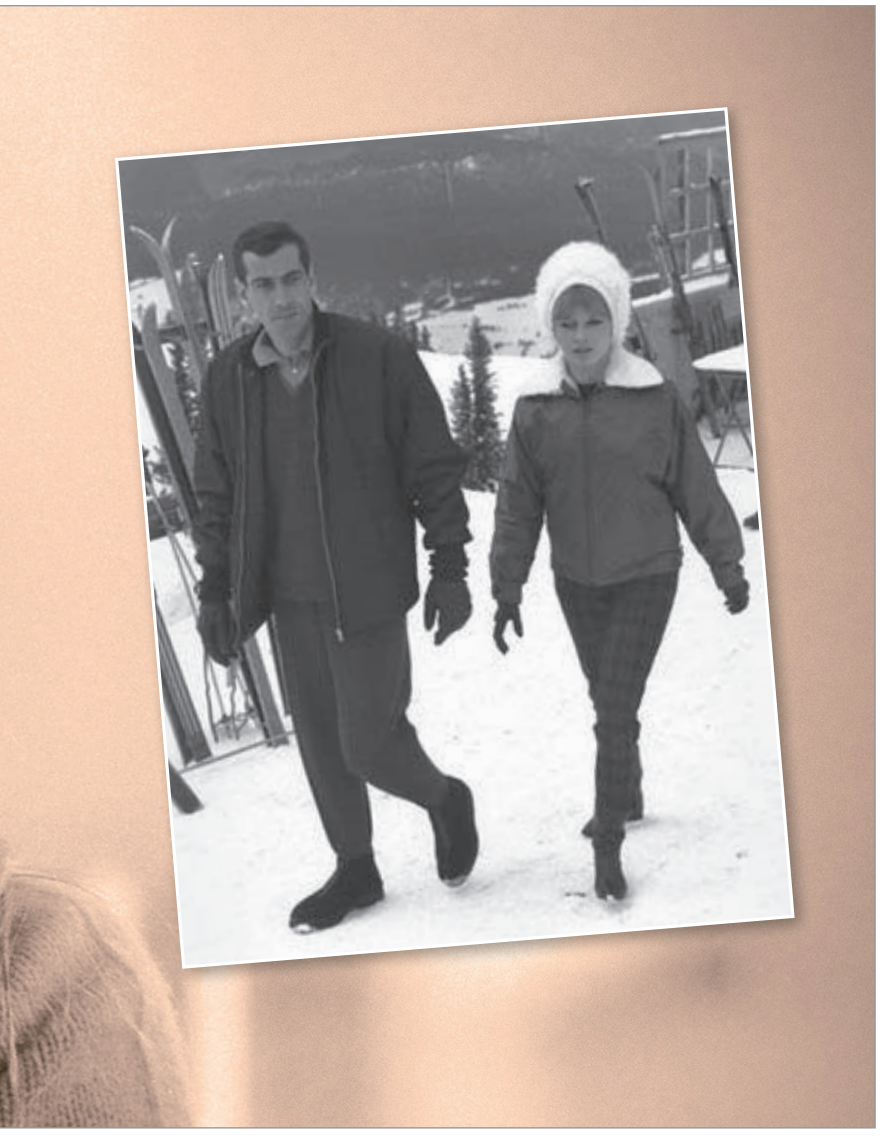

ان ما نعرفه عن بريجيت هو جمالها واغراؤها المتغطرس، وكانت تمثل الشهوة وحب الحياة، ولكننا نعرف القليل القليل عن قلقها ومخاوفها وتلك الميزة عندها لاجتذاب التعاسة والتي قادتها غالبا الى حافة المأساة ان الذي ادهشني عندما قابلت بريجيت هو وقفتها بقامتها المشدودة ورأسها المنتصب.

مذهب المعتزلة من الكلام الى الفلسفة

تأليف: رشيد الخيون

تأتي دراسة فكر وفلسفة مذهب الاعتزال، جزءاً لاينفصم من كيان الفكر الاسلامي انطلاقاً مما حققه هذا المذهب في الفكر الديني والاجتماعي بشكل عام. لذلك يأتي هذا الكتاب اضافة نوعية للدراسات التي كتبت حول المعتزلة.

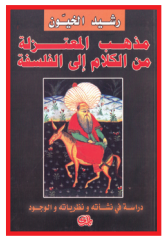

عن مستقبلنا والثورة على اهلها الذين لايفهمونها ، وكانت هناك عبارة تتردد في كل صفحة : سوف تحبني دوما اليس كذلك؟!
لم اكن اعلم ان النساء المتعطشات للحب هن اكثرهن تقلبا وكلماتها سوف تحبني دوما، تعني: لن تتركني اقع في غرام رجل اخر.
كانت امي تحب بريجيت كثيرا، ولكنها كانت تقول عنها دوما، انها تحزنني كانت تجدها متعطشة لسعادة اكثر مما ينبغي ، لكي تجد السعادة فعلا، انها لن تتعلم ان تكبر، واعتقد انها ستبقى طفلة، فلكي يسعد الانسان عليه ان يعرف كيف يحب وهي تعشق الحب ولكنها لا تعرف كيف تحب، اما انا فكنت اسمي ذلك: داء السعادة.
في الثاني عشر من كانون الاول عام ١٩٥٢ كان موعد قرانهما –فاديم وباردو – وكان هذا اليوم يتوافق مع عيد ميلادها الثامن عشر، وبعد الزواج عمل فاديم صحفيا في الباري ماتش ، اما بريجيت فقد كان الحب يأتي بالنسبة لها قبل المهنة، من المؤسف انها لم تكن تحب التمثيل ، لم تكن تحب مهنتها، وان كان قد قضى ليلة عرسه وحده على اريكة ضيقة بعد ان تزوج من اروع الباريسيات التي سيكتب عنها الصحافيون ذات يوم انها "حلم الرجال المتزوجين المستحيل".
يقول فاديم:" لقد وجدت ان نجمة المستقبل العالمية لم تكن تعلق اية اهمية على صورها في باري ماتش، ولا على عقود افلامها المقبلة، بل كانت تحلم بلون السجادة التي ستضعها في صالة الاستقبال وتتساءل: كيف يمكنها ان تستعير من والدتها طاقم السفرة الخزفي الوردي الجميل، لقد نجحت بريجيت ولكن هذا النجاح لم يدر رأسها ، وفهمت بواقعية انها قد نجحت هذه المرة وبطريقة لامعة، ولكنها فهمت ايضا انها لم تكن ناضجة للتمثيل على المسرح، ومن جهة اخرى فهي لم تحب ابدا تمثيل الدور نفسه كل مساء يوما بعد يوم واسبوعا بعد اسبوع، (هذا برهان على اني لم اخلق للمسرح) هكذا قالت لي".
المشكلة التي واجهت حياته معها كانت الشجار: كان لشجاراتنا المتكررة والعنيفة في بعض الاحيان اسباب صبيانية دائما، انني اتذكر الشجار وان كنت لا اذكر الاسباب، نقاش حاد يبدأ في السرير بعد العشاء، يتحول الى شجار في غرفة الاستقبال ويبلغ قمته في المطبخ.
مثل كل الاطفال، كانت بريجيت تطلب الكثير ممن تحب، ولو شعرت بعدم الاهتمام بها لثوان فقط لتملكها الغم: " اني تعيسة وخائفة".
كانت تلك الكلمات تعود دوما على لسانها، وبهذا المعنى كانت انانية، وكانت تغير مزاجها كما تغير رأيها، كنت اتغاضى عن الكثير من نزواتها، كما كنت سأتغاضى فيما بعد عن نزوات اولادي، ولكن الولد يكبر ويتأقلم مع حالته الجديدة، فنقول انه بلغ سن الرشد،

كانت بريجيت ترتاب من الشخصيات المعروفة، وتحب الخروج واللهو، ولكن ليس في السهرات الاجتماعية حيث يمكن اعطاء اسم لكل وجه، ومن اصعب الامور اخذها الى حفل افتتاح كان اول اولادنا كلبا اهداه احدهم لزوجتي وسمته "كلاون" أي المهرج.

باردو مع بيكاسو

اما بريجيت فلم تكبر، بالعكس كلما جذب النجاح الانظار اليها، طلبت المزيد من التفاني لشخصها، ليس لأنها كانت تريد السيطرة وتقرير كل شيء مثل بعض النساء المستبدات، ولكن ذلك كان عندها نوعا من الطغيان المقنع وتعطشا لحب لاينضب من الطرف الثاني ، كانت امرأة يخيفها الفراغ.
كانت بريجيت ترتاب من الشخصيات المعروفة، وتحب الخروج واللهو، ولكن ليس في السهرات الاجتماعية حيث يمكن اعطاء اسم لكل وجه، ومن اصعب الامور اخذها الى حفل افتتاح كان اول اولادنا كلبا اهداه احدهم لزوجتي وسمته "كلاون" أي المهرج، وكان اول اولادنا بالتحديد ولدنا الوحيد.
ان الفكرة الراسخة في الاذهان هي انني صنعت بريجيت باردو، ولكن ولأنها لم تصنع، لم يتمكن اهلها ولا المجتمع ولا مهنتها من التأثير يوما في طبيعتها العميقة، لقد تفجرت في الكون كرمز للجنس، كان عريها هو العري الوقح، العري بلا خطيئة هو الذي يثير ويهيج الناس، كان من عباراتها الصاعقة: "عندما يكون للرجل عدة عشيقات يقال انه دون جوان، وعندما يكون للمرأة عدة عشاق يقال انها عاهرة".
كانت بريجيت زوجتي وابنتي وعشيقتي، ولكن لم يكن بمقدوري ان اعطيها مبتغاها: الكأس المقدسة ، ولم يكن لنجاحها في السينما أي دخل في تدهور حبنا، فالشهرة لم تغيرها، كانت قلقة من قلة اندفاعي، تبحث عن عنف، عن رغبة جديدة في أعين رجال آخرين، كانت تريد كل شيء أو لاشيء، كانت تقول قبل ان تنام :" من الصعب ان نكون سعداء، لم تكن تعرف عذاب الضمير ، كانت تريد ان تتأكد فقط انك ما زلت تحبها، كانت تكره اكثر واكثر ثمن مجدها، فضول الجماهير التي كانت تلاحقها في كل مكان، كانت تشكو من ألم الحياة.
كانت بريجيت زوجته الاولى وكان هو الرجل الاول في حياتها، يشرح بسعادة كيف حولها من آنسة الى امرأة على ثلاث مراحل، ومع هذا فإن كاترين زوجته الثانية ستنجب له اول طفل، اما طفل بريجيت الاول فستنجبه في ١١ كانون الاول عام ١٩٦٠، وسيكون من زوجها الثاني جاك شارييه.
وبعد الانفصال يقابلها ويصف اللقاء.
ونهضت فانفتح المئزر، كاشفا عن جسدها الرائع الذي لم تغير فيه الامومة شيئا، كانت قامتها لاتزال تتحدى قوانين الجاذبية الارضية والبطن ناعم غير مسطح تماما، ولا مكور تماما، والساقان كانتا صلبتين طويلتين، وقالت: عزيزي فاديم: إنني تعيسة، لم تكن ترغب في النصائح، كانت تريد ان تشكو وتبحث عن التعزية، عند من يستطيع تقديمها لها دون ان يحكم عليها، ولذلك ظلت متعلقة بي لأنني لم احكم عليها ابداً.

كتاب/ من نجمة الى نجمة
مذكرات روجيه فاديم
ترجمة/ نضال حواط
الناشر/ دار الرافد - دمشق

حجر الحروب

قراءات في الحداثة الشعرية
تأليف : ياسين النصير
تشكل هذه الدراسات النقدية رؤية منهجية لملامح الحركة الثانية للحداثة الشعرية العربية متمثلة بعدد من القصائد والتجارب والموضوعات الشعرية التي تحمل في ابعادها تصورات شاملة، وشمل الناقد في قراءاته عدداً من الشعراء من مختلف الاجيال، مما يعني ان الحركة الثانية للحداثة الشعرية لم تبدأ بعد حركة الحداثة الشعرية الاولى (حركة الرواد) ولن تنتهي في مرحلة لاحقة محددة، وانما هي تيار شكل تصورات وادوات جديدة يمكننا تسميتها بحق (الحركة الثانية للحداثة الشعرية).

أوراق
العدد (1802)السنة السابعة -الاحد (23)
آيار 2010

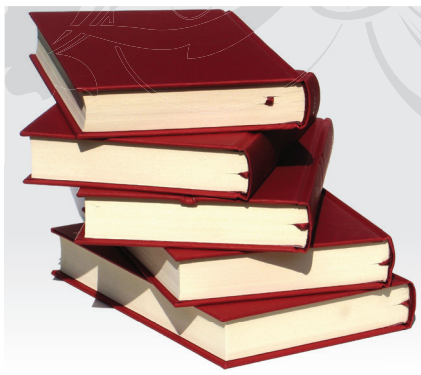

كتب أثرت حياتي

فاضل ثامر:سلامه موسى قادني الى عالم الكتب

سجل اعترافاته : محمود النمر

الناقد فاضل ثامر من الاسماء العراقية والعربية المهمة التي تشكل المشهد النقدي سواء كان ذلك في الشعر او السرد وما بعد السرد ،فهو ناقد يمتلك قدرة استكشافية في تفكيك النصوص واحالتها الى مناسيبها الاولى ،فهو يمنح النص قدرتين الاولى فتح تفاصيل التأويل النصي والثانية كشف دلالات النص المنطوية مابين الكلمات ،سألناه عن البدايات والمكونات التي تشكل منها فاضل ثامر فأجاب

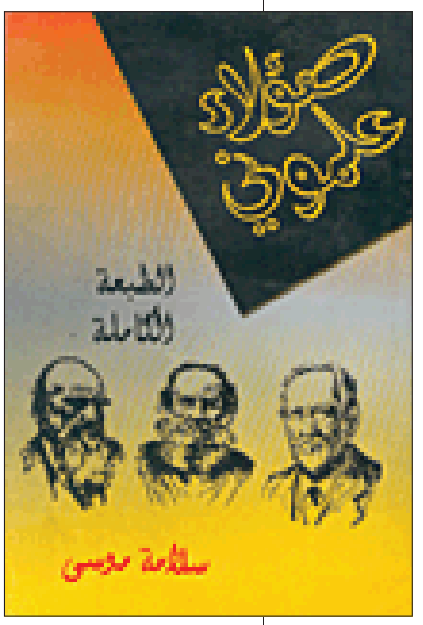

×ما اسم الكتاب الاول الذي قرأته؟

– ربما كان ذلك يعود الى مطلع الخمسينيات كنت انذاك طالبا في الدراسة المتوسطة ،وكنت مولعا بقراءة الصحف والمجلات ،وكان ذلك في عام ١٩٥١عندما قادتني قدماي الى شارع الرشيد ومنها الى سوق السراي ،وهنالك بدأت اقتني الكتب الصغيرة ،في البداية استهوتني الكتب البوليسية منها الروايات الخاصة ب –شارلوك هولمز– وكتب – ارسين لوبين – ووجدت فيها متعة كبيرة كنت اقتني الكتاب – بعشرة فلوس – وفي الجمعة التالية اذهب الى هناك مرة ثانية سيرا على الاقدام في شارع الرشيد الطويل وانا اراقب بشكل خاص مجموعة محال الخطاطين الممتدة على طول الشارع منها محل الخطاط الكبير –هاشم الخطاط – والفنان صبري – واتذكر ايضا الفنان –اوكسن – قريبا من سينما –روكسي – وبعض الرسامين الشعبيين الذين يرسمون صور –البورتريه – الى ان اصل الى سوق السراي ،حيث ابدأ باقتناء الكتب وتبديلها ،في مرحلة لاحقة قادتني القراءة الى التعرف على كتب ادبية وثقافية ،منها كما اتذكر كتب – سلامة موسى – ومن الكتب التي اثرت في – هؤلاء علموني – الذي عرفني الى مجموعة من المفكرين والفلاسفة الذين بهروني بعوالمهم وسعة افقهم ،ومنها الى الادب الانكليزي والحقيقية ان هذه الدراسات استطاعت في تلك المرحلة ان تؤسس لدي وعيا علميا ووعيا ثقافيا انسانيا وشموليا ولعل كتب سلامة موسى هي التي قادتني الى حب الكتاب ،وبعدها انتقلت تدريجيا الى قراءة الادب العربي والعالمي ،ومن اوائل الروايات التي قرأتها عندما كنت مرتبطا بالعمل السياسي رواية – الام – لمكسيم غوركي – ثم انتقلت الى قراءة روايات ديستوفسكي وخاصة رواية –الحرب والسلام – وبقية الاعمال الادبية الكبيرة التي تعرفت عليها في مراحل مختلفة من حياتي ،وعندما دخلت الجامعة عام ١٩٥٧ في قسم اللغة الانكليزية ،وافدت من اللغة الانكليزية التي نهلت منها الكثير من خلال قراءات امهات الاعمال الادبية والروائية والقصصية والنقدية باللغة الانكليزية التي ظلت المصدر الاساسي لثقافتي منذ ذلك التاريخ وحتى الان .

×وما آخر كتاب تقراه الان ..؟

–اتجول بالقراءة بين مجموعة من الكتب النقدية التي اشتريتها حديثا من شارع المتنبي منها كتاب– عتبات –يعرض فيه الكاتب آراء –جيرار جينيت – حول مفهوم –العنوان في العمل الادبي – وكذلك عن العتبات النصية واللانصية التي يكشف عنها احيانا عمل ادبي محدد ودلالة هذا الشيء من الكتب المهمة ،ايضا حصلت على كتاب يتعلق باشكالية المصطلح النقدي وهو من منشورات الاختلاف للمؤلف –بن عيسى بوحماله – وهو كتاب مهم جدا ،انصح الطلبة والاساتذة باقتنائه لانه يقدم مسحا كاملا لاشكالية هذا المصطلح في المجالات الشعرية والنقدية والاسلوبية والكثير من الجوانب التي فيها عملية حفر وعميلة جمع وعملية اقتناء ،وهنالك كتب كثيرة منها نقدي ومنها روايات ايضا منها رواية– بنات الرياض – رجا العالم – وهي كاتبة سعودية ،واعتقد انها رواية جريئة تكشف عن بنية اسلوبية حديثة وهي تعتمد على المدونات الشبكة العنكبوتية –الانترنيت – فيها صياغة جميلة وجريئة ولغة صادمة ايضا للاعراف والثوابت داخل المجتمع السعودي وهي رواية حظيت بتقريض وملاحقة الكثير من الكتابات النقدية المحلية العربية

×واخر ماكتبت او ماتعكف على كتابته الان..؟

–انجزت في الفترة الاخيرة عددا من الدراسات في المجال السردي وتناولت مجموعة من الاعمال الروائية والان انا انهمك في متابعة في محاولة استكمالها ونشرها واتوقع خلال الاشهر القليلة ان انجز كتابا عن السرديات ،كما انجزت كتابا يتضمن دراسات وحوارات واشكاليات تتعلق بعلاقة المثقف بالسلطة وهي اشكالية ظروف مابعد التغيير ،وهذه المشكلات التي واجهت الحركة الثقافية بشكل عام لانني اشعر باني كنت مشتبكا بهذه الاشكاليات حد النخاع ،لست ادري انا الوحيد الذي يشعر بان هموم الثقافة كلها هي فوق راسي لانني ابالغ احيانا اذا ما قلت ذلك فحاولت ان اعبر بكثير من هذه الجوانب من خلال هذه المعالجات.

فاضل ثامر

صراع علي أكبر مكتبة افتراضية في العالم

علي مدي السنوات السبع الماضية، بدأ العاملون بموقع جوجل في تحويل الكتب والمجلدات الموجودة في سراديب وأرفف مكتبات الجامعات الأمريكية، إلي وثائق رقمية، وطرحها علي شبكة الإنترنت، لتوفيرها للباحثين وكانت الحصيلة ملايين الكتب منها أكثر من مليوني كتاب سقطت حقوق الملكية عنها لمرور المدة القانونية.

الأمر لم يتوقف عند حد إتاحة الكتب وكسر احتكار بعض مواقع الإنترنت العتيقة لها، وإنما امتداد ليصبح تجارة ضخمة ومنظمة بالشراكة التي عقدتها جوجل مع شركة الطلب علي الكتب لتصنيع آلة الطبع الإسبريسو، التي تسمح بتحويل النسخة الإلكترونية إلي نسخة ورقية في أقل من أربع دقائق، بكفاءة تصل إلي ٣٠٠ ورقة وغلاف أربعة ألوان، مع تحديد القطع المراد، باستخدام مواد خام لا يتعدي ثمنها الثلاثة دولارات، ويصل إجمالي الكتب التي تنتجها الآلة إلي ٦٠ ألف كتاب في العام.

ولعلها من الضربات القاسمة لموقع الأمازون الذي احتكر الكتب النادرة والمهمة علي مستوي العالم لفترة طويلة، فأصبح بإمكان مراكز بيع الكتب المحلية في أنحاء العالم منافسة الموقع العريق،عبر شراء الماكينة وطباعة أي كتاب من الـ٢ مليون التي سقطت عنهما حقوق الملكية وأتاحتهما جوجل.

ومن المراكز المحلية الحالية المشاركة في هذا المشروع: مكتبة شابيروا بجامعة ميتشجان في أمريكا، ومكتبة بلاكويل في لندن، مكتبة الإسكندرية في مصر، مكتبة جامعة البرتا في أدمونتون بكندا ، وانجوس & روبرتسون لبيع الكتب في ملبورن باستراليا، وتأمل شركة الطلب علي الكتب في أن يصل إجمالي طابعات الإسبرسو حول العالم إلي ٩٠ طابعة في العام المقبل.

السعر الأساسي للكتاب سيكون ثمانية دولارات، منها ثلاثة دولارات ربح لمركز البيع، وأربعة دولارات تكلفة الخامات، بالإضافة إلي الرسوم التي ستفرضها شركتيا الطلب علي الكتب وجوجل ، مما دفع عمالقة التكنولوجيا الثالثة ياهوو وأمازون ومايكروسوفت لتشكيل حلف باسم الكتاب المفتوح ضد خدمة جوجل للكتب التي تسعي لإنشاء أكبر مكتبة افتراضية علي شبكة الإنترنت، وقد انضم لهذا الحلف الثلاثي عدد من الجمعيات الخيرية والمكتبات وترأسها الجماعة غير الربحية لأرشيف الإنترنت، جميعهم يعارضون صفقة جوجل بدعوي أنها بذلك تحاول احتكار نظام المكتبة خاصة أنها بهذا المشروع ستصبح المصدر الإلكتروني الرئيسي للعديد من الأعمال التي قد يستغلونها ويتحكمون في تكلفة توصيلها.

جوجل واصلت مشروعها بصفقة مع دور النشر تكلفت ١٢٥ مليون دولار لإنشاء سجل حقوق الكتب والسماح للناشرين والمؤلفين بتسجيل أعمالهم وتعويضهم عن استخدامها، مع حصول جوجل علي ٣٠٪ من قيمة مبيعات تلك الكتب، وتكمن المفارقة في أن ٥٠ – ٧٠٪ من الكتب المنشورة منذ ١٩٢٣ توفي أصحابها، وأصبح أصحاب حقوق النشر فيها مجهولين.

حامل الكتاب

محمد خضير

ظهر الفيلسوف الفرنسي جاك دريدا في صورة التقطت له قبل وفاته، جالساً امام كتاب مفتوح، ولهب شمعة يبصبص في عمق الصورة، فيما كان رأس الفيلسوف مزورا عن كتابه ناظراً في بؤرة افكاره الغائبة عن الصورة بعينين ثاقبتين، يكرر دريدا في جلسته الوضع المتأمل للقديس اناستيوس في لوحة رامبرانت (١٦٣١ –متحف ستوكهولم الوكني) ويحضر بدلاً من "الفيلسوف والكتاب المفتوح" في لوحة رامبرانت الاخرى (١٦٣٣ –متحف اللوفر) مستعيرا من رسام الظلمة والنور، ومن ديلاتور الملقب برسام الشموع والجفون المغمضة ، لقب "قارئ الكتاب" الشارد بنظره عن صفحات الكتاب المفتوح بين يديه، الا ان دريدا بانتسابه الى خلفيات رامبرانت وديلاتور المعتمة، بانتزاعه النور من شمعة القديسين المصورين في ايقونات عصر النهضة، بازوراره عن كتابه، باستغراقه في الحقيقة الغائبة عن المشهد، سترتحل صورته الى مرتبة "اصحاب الكتاب" اولئك الذين اصبحنا بفضلهم "حاملي الكتاب" بعد ارتحالهم عن دنيانا.

سأروي اولا كيف يكتسب المرء لقب "حامل الكتاب" قبل ان اشفع هذه الفكرة بذكرياتي عن كتابي الاولن الذي نسبني الى النخبة التي استحق افرادها لقب "صاحب الكتاب" واعتقد ان اشخاصا اخرين يملكون افكارا مماثلة عن هذين اللقبين حامل الكتاب، قارئ متنقل، عارض للكتب التي يحملها في يده بالدرجة الاولى، تظهره صورته الى جانب وسطاء الكتاب المتعددين ضائعاً في وسطهم، وصاحب الكتاب، مؤلف له على وجه الخصوص تظهره صورته وحيدا وسط العتمات والشموع، ايقونة على مذبح معبد، يختار حامل الكتاب المكان واللحظة اللتين يظهر فيهما على الملأ ، كي ينتزع الكتاب الذي يحمله الصعقة من عيون الناظرين الا انه سرعان ما يدخل في شرود الايقونة التي تصوره غائبا عن الحاضرين، مغادرا موقعه بينهم راحلا عبد الحدود الاقليمية يقايض مصيره بكتابه كما قايض لاو تسي صاحب كتاب (تاو تي كنج) رجال الجمرك بكتابه، كي يسمحوا له بمواصلة السفر على دأبه مع تلميذه اصبح صاحب الكتاب لاو تسي بهذه المقايضة "حامل كتاب" تجيب اشعاره عن اسئلة الطريق بكلمتي "نعم" و"لا" حسب مشيئة القارئ الموافقة او المعارضة من دون الزام او إكراه. وقيل ان الفيروز أبادي كان يسافر بصحبة احمال من كتبه وان كتب الامام احمد بن حنبل بلغت اثني عشر جملا، دلالة على ان اصحابها هم حاملوها ايضا.

قبل ان اروي حادثتي عن حامل الكتاب ، سأعرج على وسطاء الكتاب: خازنه وبائعه ومجلده، والى هذا الاخير ينتهي الكتاب كي يرممه، ويضفي عليه مظهرا مكتبياً مهيباً، يذهب الكتاب بعدئذ ليخزن في المكتبة بكعبه الجلدي، يصنف ويرقم قبل ان يعار الى قارئ مؤقت، يحمله الى حين ولا يتيسر له ان يتملكه، شأنه في ذلك شأن وسطاء الكتاب، لكنني كنت على استعداد للتنازل عن القاب ملكيتي لمجلدي الكتب مقابل ان يسمحوا لي بمشاركتهم محترفات عملهم، اراقبهم يعملون واستمتع بأكداس المجلدات المرصوصة تحت المكبس الحديدي الثقيل، او تلك المهيأة للخياطة والتغليف، بعد طواف يومي بين ارصفة باعة الكتب في سوق البصرة القديمة، كنت افوز بجزء مفقود من معجم او موسوعة متعددة الاجزاء احمله مسرعا الى دكان مجلد بارع لا أبرحه الا وانا احتضن كتابا سلخ جلده القديم وغطي بجلد طري خشن الملمس، لطالما احببت الاغلفة الخشنة التي تمنح الكتاب شكلا بدائيا يكتم الانفاس، واحساسا بأن قرءاته تعني احياء لقوى العلامات المستكنة بين الصفحات، كأنها نذور معبد، أوحى لي عمل المجلد المتعدد المراحل بمفهوم الانقضاض على الكتاب الخرز والخياطة والتصميغ، ثم الكبس الشديد، تشذيب الورق، قبل حمله وامتلاكه خرجت من دكان المجلد وفي يدي المجلد الثاني من معجم (المساعد) للاب انستاس ماري الكرملي في غلاف اسود محبب، جمع الاب الكرملي مادة معجمه من المستدركات التي دونها، بحروف وعرة، على هوامش المعاجم اللغوية في خزانته جرب الكرملي عمليات المجلدين بالانقضاض على ملاحظاته المتفرقة على الصفحات، يسلخها ويكبسها ويغلفها، سأغير مثله على مواد معجمه فأحشوها بهوامشي ، الهوامش التي ستمد نصوصي بعصارات لغوية تتوجني بما توجت الاب الكبير، فأستحق لقب "صاحب الكتاب" كما استحقه من جمع اشتات المعاجم وهوامشها وهل اكثر من صورة باقية للاب انستاس الكرملي بلحيته الطويلة اشارة دالة على الوجود المكتبي الذي انشأه في دير الاباء الكرمليين ببغداد؟

كنت اسرع الخطى وهنا ادرك الحادثة التي بدأت من دكان مجلد الكتب سابقا الليل الى مرأب الحافلات المتطرف في ناحية من السوق القديمة، في ليلة من شتاء الاعوام التسعينية السالفة (المجدبة والحزينة) اخترت العودة الى البيت في حافلة عمومية من مجموعة حافلات صفر، نوع "شوفرليت" (بلو بيرد) مخصصة لنقل الطلاب، حولت الى الخطأ الذي ينقل العامة من من مرآب السوق وكانت الساعة المتباطئة قد احتجزت اخر حافلة منها بانتظار اخر راكب تلفظه السوق، انزويت تحت مظلة الانتظار المحاذية للحافلة المتوقفة، أنقل كتابي من يد الى يد، مراقبا امتلاء المقاعد عن اخرها بالهموم والاثقال، بعدول وزنابيل فاكهة وخضر، بأكف فارغة واخرى بمخروطات ورقية معبأة ببذور زهرة الشمس المجففة، ببلاد تطحن قهرها مع قشور البذور او تلفظها بصمت، في هذه الساعة يحين موعد صعودي الى الحافلة المحشورة بالوجوه المساهمة مع كتابي المغلف بغلاف اسود سميك ، اتمسك بأحد العمودين القائمين في مقدمة الحافلة على جانبي الممر الفاصل بين المقاعد، وألبث واقفا في مكاني ، تطلعت العيون المظللة "باليشامغ" الى الراكب الاخير، وفرزته حالا على انه "حامل الكتاب" القارئ الخبير بتأويل الرموز المعماة، عدا كونه المدون المبتدع للاخبار المصفاة قصاص البلاد الواسعة التي تختفي في هذه الساعة وراء ستار الخوف والظلام، فورا وزن خبراء السوق العرافون الشيء الخطير الذي احمله بما يعدل اطناناً من زهرات الشمس، وبالات الخلقان، وكرات الحلوى المرصوصة بالتمر والسمسم، وزنوا الكتاب الاسود بما يعدل بحارا من السر المكنون في الصدور، ظهرت امامهم "كوديا" يحمل كتاب سلالته بين يديه، ويلقي بأوزار رؤياه على كتفيه صنما اسود يكرر ظهوره كل مساء، ويقود الحافلة الصفراء الى اعماق الخوف، منذئذ وانا اختار الحافلة الاخيرة، ركاب الليل العائدين ببضاعة خاسرة، وآمال مؤجلة، اعرض عليهم كتابي الذي احمله، انتزع من عيونهم مقاييس المفاجأة والتأثير، استشعر رجفة الكتاب على خاصرتي وهم يدثرونه بتبجيلهم الصامت وحسهم الدافئ كنت في نظرهم "حامل الكتاب" الذي يتوقعون ظهوره في ساعة المساء الثامنة، حامل ابجدية البلاد المحفورة على كتفي تمثال بدوت لركاب الحافلة اصغر من تمثال، واكبر من راكب عابر من ركاب السوق، ولم ابلغ بعد مرتبة "صاحب الكتاب" في نظر نفسي للكتب التي أنجزت تأليفها.

نذكر كوديا الاكدي، حاكم لكش (٢١٤٤ –٢١٢٤ ق.م) عددا كبيرا من تمثايله المقدودة من الحجر الاخضر المائل للسواد (الديورايت) قدمها للاله ننكرسو في معبده، الذي بناه بأمر من الاله الذي ظهر له في المنام في صورة الطائر انزو، يحتفظ اللوفر بثمانية من تماثيل كوديا، بعضها مقطوع الراس، اما التماثيل الكاملة فيظهر كوديا فيها بالوضع المعروف بين تماثيل السلالات الاكدية، يضم كفي ذراعيه الى صدره بوقار وجمود ، ويسدل رداءه الى قدميه، ويطوق هامته بعمامة دائرية واسعة، يبدو كوديا جالساً في تمثال برأس كبيرمضغوط بلا رقبة يصوب نظرة مستقيمة من عينين واسعتين تحت حاجبين مقوسين، جسد قصير متصلب بلا تعاريج، جلسة خشوع وامتثال ووضوح، سطح أملس مهيأ لحفر الكتابة عليه، لا يحمل صاحب التمثال كتابا، لكنه يصرح برؤياه في كتابة محفورة على طرف ردائه الطويل، وعلى ظاهر كتفه الصلب كوديا، صاحب الرؤيا، المنقول من تلال لكش الى اللوفر، يعرض في ضوء المتحف المحبوس كتابته المحفورة على ظهره بالاتجاه المعكوس لنظرته المستقيمة، متجاهلا ما يحمل من نذور مخيفة على كتفيه.

اول لقاء لي بكوديا كان في المتحف العراقي عام ١٩٧٢ كان تمثالا مقطوع الرأس، نحت له رأس من نسخة أصلية بمتحف بنسلفانيا ، ووضع في خزانة بالقاعة السومرية، ومن هذا اللقاء اتابع حكاية كتابي الاول، في ظهيرة من شهر اب /اغسطس في ذلك العام، اشتريت نسختي من (المملكة السوداء) من بائع صحف افترش رواق شارع الرشيد من جهة باب المعظم. اسرعت بكتابي اختلس الخطو بين ظهور السائرين القلائل مبهورا بحملي المباغت لفطرتي العذراء، التي انتهكت على حين غرة، تطلعت الى من يحملني وكتابي، ينقلني فوق الرؤوس والعيون والاذان ، على متن حافلة حمراء ذات طابقين،من ذلك الاسطول الذي يشق شارع الرشيد بمحاذاة دجلة، خارجا من باب العاصمة الشمالي باتجاه بابها الجنوبي ارتقيت سلم الحافلة الى طابقها الثاني واتخذت مقعدي في مقدمة الطابق المطلة على الشارع ذي الطوارين المحمولين على أساطين دائرية ، قريبا من شرفاته وأفاريزه المشغولة بأيدي اسطوات البناء البغداديين حاملا كتابي، محمولا على خيوله التي رسمها عامر العبيدي على غلافه مؤجلا النظر في صفحاته اسير فوق الشرفات والنقوش الاجرية، كتابي يسير معي، احمله ويحملني ركاب متفرقون شغلوا المقاعد الخلفية استشعرت نزولهم وغيابهم في ظهيرة الشاعر الظليل، يفرغ الطابق الاعلى ويمتلئ اقدام خفيفة الوقع على السلم تحتل المقاعد حولي وتقترب مني، تحيط بكتابي الطائر معي، امراء الكتابة، تماثيل لكش، اخوة كوديا ، يصحبونني في هذه الرحلة اللاهبة، في الحافلة ذات الطابقين، من اسطول شارع الرشيد الاحمر حملت ببشائر هذه الرحلة مع اخوة كوديا في الليلة الماضية، على سرير فوق سطح الفندق الذي نزلته بمنطقة سيد سلطان علي، يتسابق نزلاء الفندق الذين تخففوا من ملابسهم بالصعود الى السطح مع حلول المساء ليحظوا بالرقاد على سرير فارغ، بين الاسرة المصفوفة تحت نجوم بغداد، ويتوالى صعودهم حتى ساعة متأخرة من الليل ، لم اتعرف النائمين عن يميني وعن شمالي، وفي تلك الليلة حلمت بالتماثيل القادمة من تلال بلا اكد ترقد على أسرة سطح الفندق ، وانا احلم بها الان في هذه الظهيرة تستقل الحافلة، تماثيل بارتفاع ٤٥ سنتمترا ستحمل كتابي معها الى معبد ننكرسو وتنذره هناك، وسيخطه كاهن المعبد على ظهري بمداد من زعفران، امتلأت الحافلة بالكائنات الصغيرة، وأحسست احدها يجلس الى جانبي، على المقعد الملاصق لزجاجة الحافلة الامامية المطلة على شارع الرشيد.

"انت الان صاحب كتاب، وانا وأخوتي سنحتفل باللقب الذي نلته". قال التمثال الصغير المطوق الرأس بعمامة كوديا الدائرية، لم التفت الى المقاعد وراء ظهري فقد كنت متصلبا مثل شريكي على المقعد اجلس بوقار اضك كتابي الى صدري.

"بل اريد ان اكون حامل كتاب وحسب، هذا غاية ما اتمناه حقا".

×اجل ان شئت، فأنت حامل كتاب ايضاً، هل نظرت فيه؟ انه حاشد بالاخطاء الطباعية".

×توقعت مثل هذا التشويه، ستقتل الاخطاء كتابي".

×ستتعاظم الاخطاء في الكتب المقبلة، انك لن تكتب نصاً نقياً كما ترغب الا اذا حفرته على ظهرك، عندئذ لن يتغير الكتاب الذي تؤلفه ابداً".

×"لن ابلغ هذه المرتبة كما تعلم ياصديقي ، اني حامب كتاب فقط دعني استمتع بهذه الصفة، اتمنى ان اظهر بصحبة كتاب محمول في صورتي الاخيرة قبل ان يحين أجلي".

×هذه امنية عظيمة ستظهر في صورة كهذه عندما تمل تأليف الكتب، وتتكاثر اخطاء الطباعة، لا تنظر الى كتابك واحفره على ظهرك".

اتذكر هذه المحاورة مع واحد من الكائنات الصغيرة التي تعلو ٤٥ سنتمتراً، أو أتخيلها وانا اتأمل صورة جاك دريدا الاخيرة، ظهرت الصورة كما شاء الفيلسوف بصفته "حامل كتاب" بعد ان التقى احد تماثيل كوديا المحفوظة في متحف اللوفر، لاينظر الفيلسوف في الكتاب المفتوح بين يديه ، فكتابه الحقيقي محفور على ظهره.

جاك دريدا

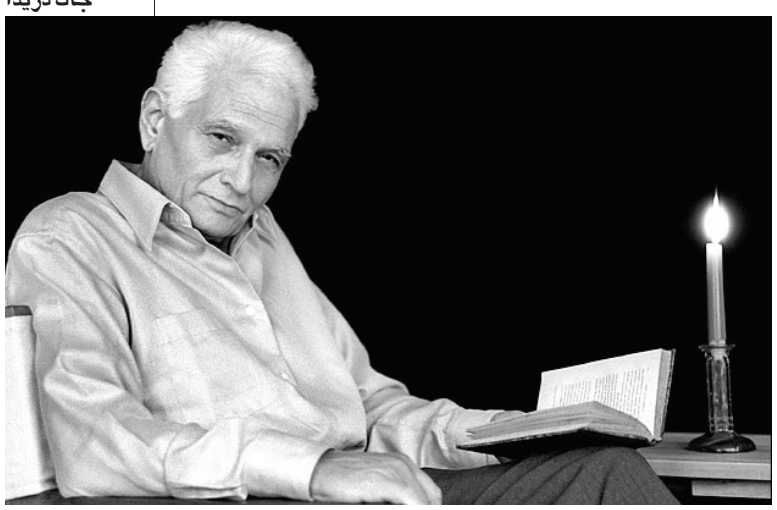

أوراق
العدد (1802)السنة السابعة -الاحد (23)
آيار 2010

شيء من الحياة

والد الرئيس الفرنسي يتذكر كيف نام في الشارع ليلة وصوله الى باريس

مؤلف هذا الكتاب، ليس سوى أب رئيس الجمهورية الفرنسي الحالي نيكولا ساركوزي، وكان المؤلف قد وصل إلى باريس مهاجرا من بلده الأصلي هنغاريا عام 1948.
تبدأ مغامرة بال ساركوزي يوم وصوله إلى باريس حيث أمضى الليل عند فوهة يخرج منها الهواء الدافئ من محطة للمترو. وكان يربط على قدميه بخيوط خرقا ممزقة كي يحتمي من البرد، إذ كان قد وصل العاصمة الفرنسية في أيام برد قارس. وانطلاقا من تلك الحالة قرر أن يبني حياته، أو بالأصح، كما يقول، أن يعيد بناء حياته ليستعيد أيام الرخاء التي كان قد عاشها في طفولته بهنغاريا، فهو سليل أسرة ميسورة بالأصل.

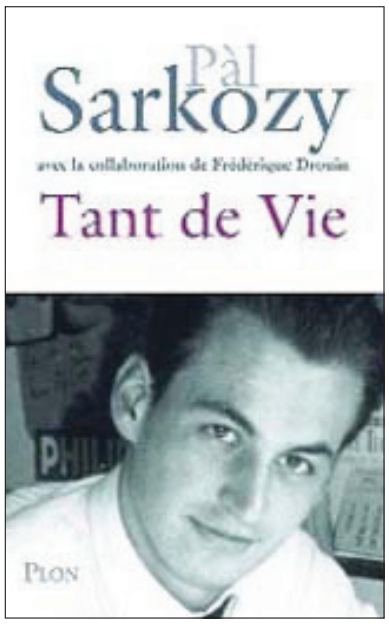

غلاف الكتاب

في عام ١٩٤٨ وصل إلى باريس شاب هنغاري يحمل اسم «بال ساركوزي». كان عمره ٢٠ عاما ولم يكن يمتلك ما يمكنه أن يشتري به طعامه. لكنه شق طريقه الصعب وأنجب خمسة أطفال أصبح أحدهم نيكولا، رئيسا للجمهورية الفرنسية في عام ٢٠٠٧. وفي هذا الكتاب «مقدار من الحياة» يحكي بال ساركوزي قصة حياته، وهو الآن قد تجاوز الثمانين من العمر.

إن بال ساركوزي لا يتوقف طويلا عند طفولته، لكنه يتحدث طويلا عن طفولة أبنائه. ويؤكد أنه شرح لهم «فضائل العمل وأعطاهم روح الاستقلال». ابنه الأول فرانسوا درس الطب ك«ما يفعل أبناء المهاجرين غالبا» ونيكولا اتجه صوب دراسة القانون كي يصبح محاميا «مثل أمه». وغيّوم اختار أن يدرس الهندسة، أما اوليفييه فقد أراد أن يكون مصرفيا حيث عمل مع مجموعة «كارتيل» في نيويورك. الابنة كارولين مهندسة معمارية مع الميل نحو الاهتمام بداخل المنازل. «لكن قبل كل شيء كان ذلك ثمرة اختيارهم وتطلّعهم الشخصي دون أن يكون لي دور كبير في ذلك».

ويرد بال ساركوزي في هذا الكتاب على الكثير من الأشياء التي قيلت عنه ولم تكن والدة الرئيس الحالي وزوجته السابقة بعيدة عنها في أحيان كثيرة. نقرأ: «لقد حاولت أن يتجنّب أبنائي التربية القاسية جدا التي كنت أنا قد تلقيتها، ودون أن أفلح كثيرا كما يبدو. وعلى عكس ما يقال، فإنني لم أتخل عنهم أبدا لا ماليا ولا واقعيا. لكن من الدقة القول ان أمهاتهم هن اللواتي تحملن مسؤولية تربيتهم».

ويتحدث ساركوزي الأب بكثير من المودة حيال بندكت الملاّح، والد زوجته دادو ؟ يقصد «اندريه». أم أولاده الذين من بينهم الرئيس الحالي نيكولا ساركوزي، يقول: «ان الدكتور ملاّح ؟ كان طبيبا أخصائيا بالمجاري البولية وأحد كبار هواة الفن – قد عرف كيف ينتبه لأبنائنا وكيف يتقن فنّ أن يكون جدّا. وخاصة بالنسبة لنيكولا الذي أدخل إلى أعماقه حب فرنسا (...). لقد كان نيكولا من جهته، شديد التعلّق بجدّه بمقدار ما كان يقدّس والدته.

ولا يزال يقدّسها حتى الآن». وهو يحدد القول ان والد زوجته، الدكتور ملاّح، كان يهوديا يونانيا من مواليد سالونيك، لكنه تحوّل إلى الكاثوليكية عندما تزوج. كما يحدد القول ان نيكولا كان دائما قريبا منه وأنه قد منحه أيضا إلى جانب حب فرنسا، حسّ رجل الدولة.

ومن الأحداث التي يرويها بال ساركوزي، تلك التي عرفتها الفترة التي قرر فيها أن يترك هنغاريا في نهاية سنوات الأربعينيات من القرن الماضي وتحديدا في عام ١٩٤٨ وتحديدا أيضا إلى باريس. لكنه اكتشف أن هناك استحالة حقيقية بالحصول على تأشيرة الدخول إلى فرنسا آنذاك، فما كان منه سوى أن قرر الالتحاق كمتطوع للقتال على جبهة الحرب آنذاك في الهند الصينية. وكانت القواعد الإدارية آنذاك تقتضي أن يمضي خمس سنوات في الخدمة بالخارج وبحيث أن أية محاولة للهرب تكون عقوبتها الإعدام.

وبعد أن أمضى دورة تدريبية لأشهر في معسكر للتدريب في الجزائر «الفرنسية آنذاك» للمتطوعين في الوحدات العسكرية الخارجية، عاد إلى فرنسا قبل السفر إلى الهند الصينية. وقبل موعد الرحيل بأيام قليلة كان لقاء قد غيّر مجرى حياته. وهو يصفه كما يلي: «أثناء الزيارة الطبية الأخيرة التي تسبق السفر، كان الطبيب المكلف بإجراء فحوصي الطبية لتأكيد كفاءتي البدنية هو أحد مواطني بلدي الأصلي هنغاريا (...). وقد كان أحد أصحاب أبي أثناء الحرب العالمية الأولى ١٩١٤». لقد قرر ذلك الطبيب أنه غير مؤهّل صحيا للسفر إلى الهند الصينية وأنه يعاني مرض بالقلب، وهكذا حصل على إذن مرور إلى باريس ك«عسكري في إجازة».

ولا يتردد بال ساركوزي في القول ان «حمل اسم ساركوزي اليوم خارج فرنسا يفتح أحيانا الكثير من الأبواب». وهو يؤكد واقع أنه عندما قرر أن ينطلق في عالم الرسم، وهو في سن السادسة والسبعين، سهّل له اسمه الأمر كثيرا حيث فتح له الكثير من العارضين أبواب صالاتهم.

وإذا كان بال ساركوزي يؤكد حرصه على ألا يسبب أية مشكلة لابنه الرئيس فيما يمكن أن يقوله عنه أو عن

والد الرئيس الفرنسي

السياسة الفرنسية، فإنه بالمقابل يبدي سعادته «من أجله». ذلك أنه كان يحلم دائما بالرئاسة، لكن الأب، كما يقول، لم يكن يعتقد أبدا أن ابنه سوف يكون ذات يوم هو سيد قصر الاليزيه. بالطبع يعرب بال ساركوزي عن اعتزاز «المهاجر الهنغاري» الذي أمضى أول ليلة له عند بوابة مترو باريس، بأن يصبح ابنه رئيسا للجمهورية الفرنسية. ولم يكن بال ساركوزي قد حصل على جواز سفره الفرنسي، كما يقول، سوى في عام ١٩٧٦. وتتم الإشارة الى أنه هذه هي المرة الأولى، مع نابليون، الذي يصبح فيها أحد أبناء الجيل الأول المهاجر رئيسا لفرنسا.

ومن المواضيع الأساسية التي يوليها بال ساركوزي اهتمامه في الكتاب، هناك حياته العاطفية. إنه يتحدث طويلا عن النساء اللواتي أحبهن. وهو يتحدث بكثير من التفاصيل، وبقدر كبير من الحرية، عن مغامراته العديدة. حيث يهدي والد ساركوزي في مذكراته مساحة كبيرة للنساء في حياته حيث قال: "كنت أتنقل من امرأة لأخرى كما يتنقل الانسان من طائرة لأخرى".

واستعرض بال في مذكراته العلاقات النسائية التي جمعته بمربية أطفال ثم سكرتيرة رئيسه في العمل و زوجاته الأربعة اللاتي ترك ثلاثة منهن لأجل نساء أخريات.

أما الزوجة الرابعة والأخيرة فهي التي يعيش معها بال منذ ما يزيد على ٤٠ عاما.

وكانت الزوجة الأولى لبال ساركوزي هي دانو المنحدرة من أسرة يونانية والتي أنجبت منه ثلاثة أبناء أصبح أحدهم رئيسا لفرنسا بعد ذلك.

وحول نشأة أطفاله في بلد آخر قال بال: "اتفقت أنا ودادو على أن من الضروري لأطفالنا أن يندمجوا بشكل تام في وطني الجديد واتفقنا على ألا أتكلم معهم بالمجرية ولا أحكي لهم سوى القليل عن وطني".

المفارقة أن أول ليلة قضاها بال بعد وصوله إلى باريس عندما كان في العشرين من عمره هي تلك التي قضاها ولم يكن عنده منزل بعد في إحدى محطات المترو بالقرب من قوس النصر الذي لا يبعد بأكثر من ٢٠٠ متر عن مطعم فوكيه الفاخر الذي احتفل فيه نجله بعد نحو ٦٠ عاما بفوزه في الانتخابات الرئاسية.

وبدأ والد ساركوزي مهنة جديدة وهو في الـ ٧٦ عندما اكتشف ولعه بالرسم وبدأ في انتاج أعمال عديدة بالمشاركة مع صديق ألماني يدعى فيرنر هورنونغ. ولا تخلو أعمال بال من رسومات لابنه ولزوجته المغنية الحسناء كارلا بروني.

ولا يتردد بال في اعطاء نجله بعض النصائح القيمة من حين لآخر اذ نصحه اخيراً بعدم الترشح للانتخابات لفترة ثانية عام ٢٠١٢ وقال: "أعتقد أنه سينعم بحياة أجمل وأهدأ إذا لم يترشح مرة أخرى إنها اعترافات رجل وصل مهاجرا مغمورا وغدا لاحقا أب رئيس جمهورية فرنسا.

الكتاب: مقدار من الحياة
تأليف: بال ساركوزي
الناشر: بلون باريس ٢٠١٠

فلسفة الفن المعاصر

مراجعة لكتاب بندر وبلوكر Bender & Blocker

انجيلا كَران (1-2)

ترجمة ياسين طه حافظ

هذه الانثرولوجيا لفتت انتباهي قبل بضع سنوات وانا احضر كورساً لطلبة قبل التخرج في موضوع "الفن وتفسيره". يلقي هذا الكتاب الضوء على قراءات في الجماليات. وقد سبب لي وانا أقرؤه بعضاً من الارتباك. فقد تغيرت في السنوات الأخيرة موضوعة الجماليات فراحت تستدعي بهدوء تقاليد ثقافية مختلفة ومناهج. هذا يتضح في الحقيقة في موضوعات أُخرى ولكن الجماليات صارت تجتذب نقاشات أكثر في الفلسفة التحليلية وفي فكر القارة وما بعد الحداثة والنظرية النسوية "الفيمنيزم" ودراسات ما بعد الثقافة. قد يرى المرء أموراً ابعد ويقول بان هناك فوارق أساسية بين التحليلية والفلسفة الأوربية "فلسفة القارة" من حيث المنهج والموضوعات. لكن هذه الفوارق قد تم تجاوزها وان عددا من الفلاسفة، بخاصة اولئك الذين يعملون في الجماليات يفيدون الآن من مصادر التقليديين. وفي ضوء هذه التحولات، أتساءل كيف تكون هذه الانثولوجيا مفيدة لي وهي تضم قراءات متخصصة في الفلسفة التحليلية وأن تفيد عددا كبيرا من الطلبة في كورسات الجماليات وتاريخ الفن ونظرية الأدب والدراسات الثقافية؟ هنالك أيضاً الطلاب الذين اعتادوا على "التقاليد" والمقاربات الفلسفية. مثل ما بعد الحداثة، التفكيكية، الفلسفة القارية او فلسفة القارة، والنظرية النسوية وسواها. هؤلاء الطلبة، وبسبب ذلك، يتوقعون ان يجدوا "صفاً"، يدرسون فيه غاية الفن وتاريخ الفن وان يشتمل الدرس على تفحصات لنصوص من تلك الفلسفات التقليدية، ولهذا السبب جعلتني اضاءات هذه الانثولوجيا القليلة للفلسفة التحليلية، أتساءل ان كانت تنفعنا وتنفع الطلبة. والحقيقة ان هذه الانثولوجيا لا تشدد في الاقتصار على الفلسفة التحليلية وحدها، فقراءة القسم الأول منها، والتي تشغل حوالي ثلث الكتاب، تفحص ما يفضل القراء اعتباره "تحديا" للجماليات التحليلية ولما بعد الحداثة. المحرران جون بندر وجين بلوكر يفيدان من فكرة الرواية فيقدمان، في انثولوجيا عن الجماليات التحليلية شركاء لهم في الجماليات التحليلية وقراءاتهم في هذا الحقل وفي مستقبل دراساته. ذلك ما يشغل معظم هذه الانثولوجيا. قراءات في الموضوعات السائدة والمكتسبات التي حققتها فلسفة الفن المعاصرة. قد يكون من الضعف ان يتناول هذا القسم من الانثرولوجيا قراءات خاصة في "التقليد" التحليلي حسب. على أية حال تكون الانثرولوجيا أفضل ما تكون في قسمها الثاني، حيث يتم فحص أفكار وموضوعات من المستوى العام والمتوقع. مثل طبيعة التفسير و "وجود" او "ماهية " الأعمال الفنية، الخبرة الجمالية وقيمة الفن. ولكن بما انها انثولوجيا تسعى لان تقدم مختارات من القراءات، ولطلاب، كان عليها ان تقدم ما بعد الحداثة، وتحديات ما بعد الحداثة للأفكار التحليلية التقليدية، مثلاً عن الموضوعية وتداخل الفن والأفكار وتقويماً لمدى قدرة الجماليات التحليلية على مواجهة تحديات ما بعد الحداثة. هذا الكتاب يخفق قليلاً، في رأيي، في تحقيق هذا الهدف الطموح. لديّ أكثر أقوله فيما بعد. ولكن لأقدم أولا رأياً موجزاً في محتويات الكتاب.

القسم الأول يدور حول هذا السؤال: هل للجماليات التحليلية مستقبل؟" الفصل الأول بعنوان "تناول الخزين" يتضمن شرح المحررَيْن للجماليات التحليلية وتحليلهما في خمسة أفكار مركزية. في هذا القسم يحاول بلوكر وبندر ان يقدما كثيراً من الأفكار ووجهات النظر الفلسفية عن ما بعد الحداثة ويُظهران انها ليست غريبة عن الجماليات التحليلية. نحن نعلم ان عمل الجماليات مع التقليد التحليلي مألوف وطويل، كما هو الحال عند "جوزف مارجولي" ومألوف مع ما بعد الحداثيين. هذه المناقشة تلتها أربع مقالات، ثلاثة منها لـ "ريجارد شسترمان" ، "الجماليات التحليلية وتأملات في الماضي والمتوقع" و لا "انيتا سيلفر" "دع ضوء الشمس يدخل" و "هل التحليل يكسب الجماليات وضوحاً" و لـ "نيكولاس ولترسوفت" فلسفة الفن بعد التحليل والرومانسية"، اعيد نشرها في عدد خاص لمجلة "الجماليات والنقد الفني" وفي موضوعة مستقبل تحليل الجماليات، ومقالة رابعة "ضمور وحضور الجماليات التحليلية" لجوزف ماركولي، يتفحص فيها بشيء من التفصيل تعارض الأقسام المختلفة مع مبادئ التحليل التي قدمها بيردسلي، كود مان، دانتو ومارجولس نفسه، وعودة الأسئلة التقليدية كالتحليل وطبيعة الفن والثقافة ووصف التفسير المضاد، في أطار معارضة التأسيسية، بينما تنساق هذه كلها وراء إغراء حوريات "ما بعد الحداثة اللا تعرف شيئا".

القسم الثاني من الفصل الأول، "تحدي ما بعد الحداثة للجماليات التحليلية وارتباطها بالتفكير ما بعد الحداثي . المحرران يقدمان تاريخا موجزا، ولكنه مفيد للجماليات التحليلية، من الحرب العالمية الثانية عبر الخمسينيات والستينيات إلى حالها اليوم. الجماليات التحليلية قبل الخمسينيات، شهدت نشاطا مركزيا بوصفها حالة لـ "ما بعد النقد" وكانت تسهم في "تصفية" كلام النقاد عن الأعمال الفنية" وضد الجوهرية الخمسينية والستينية. هذه النشاطات مهدت الطريق لتنظير الفن في سياق المضمون الاجتماعي. وكما بدا على يد دانتو "عالمالفن" Artworld .

لكن حتى هذا النوع من الجماليات التحليلية أوقف قليلاً التحليل الأوسع لعلاقة الفن بالمجتمع والسياسة والجدل الاقتصادي، معترضاً عليها بوصفها تقع خارج الجماليات. وبسبب التحولات الكبيرة في عالم الفن خلال الستينيات وأوائل السبعينيات، كان النقاد الثقافيون منهمكين في البحث عن نظرية لتفسير هذه المتغيرات.

وهكذا عاد المنظرون الانجليز والامريكان في مسائل الفيلم والثقافة الشعبية والاتصال، الى فلسفة القارة" وفكر ما بعد الحداثة بخاصة، باعتبارها النظرية التي يقع عليها الاختيار لفهم الفن في حينها. لذا فموضوعية ان كانت الجماليات التحليلية ستتمكن، في منظورها من تحليل دور الفن في الثقافة، ظلت خارج المطلب الفلسفي المناسب وهي يمكن ان تكون مقبولة في نقاشات الفن. مهمة هذه المجموعة من المقالات هي اختبار هذه المسألة. ولتؤكد ان للجماليات التحليلية فعلا مستقبلاً وانها حية على الرغم من، وربما بسبب، تحديات الفكر ما بعد الحداثي. في القسم الثاني من الفصل الاول، عُرِضَت قراءات في التفكير المابعد حداثي. وفي الفصل الاول من القسم الثالث، دراسة الحال في موضوعة التعبير في الفنون. وتظهر تنامي واتساع هذا الموضوع عما حققه بعد الحرب وحتى اليوم.

قراءة القسم الثاني، التي تؤكد مقالاته على المدى الذي تحركت فيه الجماليات التحليلية من فترة ما بعد الحرب الى يومنا الحاضر وتتفحص الاصدارات والمنظورات الجديدة في "فلسفة الفن المعاصرة. القسم الرابع من هذا الكتاب "خصوصية الفن وعمومية النظرية"، يبدأ بمقتبسات ملموسة من "كانت" ومن "نقد الحكم". احد الاشياء اللطيفة في هذه الانثولوجيا، انها في جميع الحالات، يعيد فيها المحرران نشر نقاشات سابقة أكثر مما يحرران مقالات باتجاه النقطة التي يهدفان الى وصولها، حتى اذا ما وصلا، يبترانها اذ لم تعد في رأيهما مفيدة بعد.

معظم المقتبسات جاءت من الكتاب الاول "للنقد" "تحليل الجميل"، مع اختيار موجز من "الكتاب الثاني" "تحليل السامي. وهنا لسوء الحظ، يعطى الانتباه الى ان "السامي" قد تسلمه أخيراً فلاسفة ما بعد الحداثة بخاصة ومنظرو النسوية مثل ليندا وليم. كثير من الطلبة يرون ان "موريس فايتز" مذ أعيد نشره: "دور النظرية في الجماليات." وقد ضُمّت الآن الى هذا الفصل. هذه استجابة مُرحَّب بها لجماليات كانت وحكاية جيدة لما قد شهداه من اتجاهات وميول مؤذية للجماليات وعبر البحث عن نظرية عامة متفوقة لفهم الفن. هذا الفصل أيضاً هو الرد الاحدث عن سؤال: "ما هو الفن؟" الذي طرحه دانتو في ورقته "المزايا الفنية للموضوعات الحقيقية"عالمالفن" Artworld ومقالة ديكي الاصيلة عن النظرية التأسيسية في الفن.

خليل مطران عبث في ترجمته لمكبث

علي غرار كتابها السابق " الملك لير في خمس ترجمات عربية " الصادر منذ عام في دار " شرقيات بالقاهرة، تكرر المؤلفة السعودية أحلام حادي التجربة في كتاب آخر صدر حديثا عن نفس دار النشر بعنوان " مكبث في أربع ترجمات عربية ".

الكتاب تناول بالدراسة النقدية أربع ترجمات عربية لمسرحية " مكبث " لشكسبير وهي: ترجمة خليل مطران عام ١٩١٧، وهي نثرية نقلها عن ترجمة فرنسية للمسرحية، وترجمة محمد فريد أبو حديد عام ١٩٣٤، وهي منظومة في قالب الشعر المرسل، وترجمة جبرا إبراهيم جبرا عام ١٩٧٩، وهي نثرية ونشرها متفرقة ثم مجتمعة في مجلد، صدرت طبعته الأولي بعنوان "المَاسي الكبري " عام ١٩٨٦، وترجمة محمد عناني عام ٢٠٠٥ وهي منظومة شعرا مرسلا .

واكتشفت حادي أن خليل مطران قد عبث ببناء " مكبث "الخارجي فلم يسلم منها فصل واحد، وذلك بحذف بعض مشاهدها أو مقاطع منها والإخلال بترتيبها داخل الفصل الواحد ودمج بعضها في بعض، كما تدخل في الحوار الخارجي والداخلي حذفا واختصارا وتحويرا واختراعا، مما اضطره إلى تأليف الحوار للوصل بين المشاهد التي دمجها، ولم تسلم شخصيات المسرحية من عواقب الحذف الوخيمة، فقد حذفت بعض الشخصيات المهمة وشوهت بعض الشخصيات الثانوية، وتبرر حادي مثل تلك التدخلات قائلة : مثل هذا التدخل الواسع في المسرحيات المترجمة كان ظاهرة في ذلك العهد، بسبب طبيعة المسرح العربي الناشئ وسعته وآلياته وإمكانياته المادية المحدودة، فمطران كان يريد التخلص من المشاهد الخارجية لأنه كان يصعب تصوير تلك المشاهد الشاسعة الباهظة التكاليف كساحات القتال أو معسكراته في ظل ضعف إمكانيات المسرح المادية .

وأكدت حادي قيام محمد فريد أبو حديد بحذف أجزاء من الحوار لما انطوت عليه من تهتك خلقي وفحش مما يدل على حرصه على ألا يتسرب إلى نفوس الناشئة ما ينافي الفضيلة.

بينما ترى حادي أن جبرا إبراهيم جبرا قد ترجم المسرحية بدقة متناهية ملتزما بخصائص النص الشعرية وتفرده الأسلوبي وكثافته الشعرية وصوره ورموزه وإشاراته المختلفة وانفتاحه الدلالي على التأويلات المتعددة، ، كما أكدت التزام محمد عناني بالنص الأصلي في دقة وأمانة علمية ملتزما بالكثافة الإيحائية للصور الشعرية والبلاغة اللفظية.

أوراق
العدد (1802) السنة السابعة - الاحد (23)
آيار 2010

خير جليس...

تتناول هذه الصفحات أحدث الإصدارات العربية والأجنبية يقدمها مازن لطيف.

المدى تنشر ثلاثية هنري ميللر في طبعة جديدة

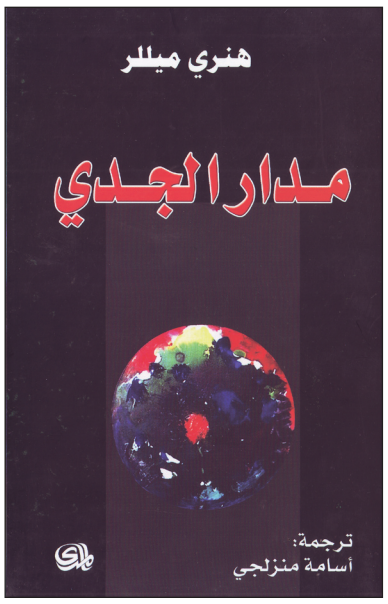

إنّه ثرثار كبير» يقول جان جينيه في معرض إجابته عن رأيه في هنري ميللر (1981 ـ 0891). ثرثار بما يدفعنا إلى ملاحقته على مدى 1600 صفحة في ثلاثيته «الصلب الوردي» («سكسوس»، «بليكسوس»، «نكسوس»)... ثرثار بما يقوده إلى الحديث عن «مونا» إلى ما لا نهاية، في بحثه المضني عن أسباب التصاقه بها لسنوات. إنها «المرأة»، أي كل النساء، وكم من النساء في حياة هذا الصعلوك النيويوركي، ثم الباريسي، من دون أن يغيب عنه تساؤل دائم «ماذا تريد المرأة؟»، فيجيب «في النساء سمة منحرفة... كلهن مازوشيات!». هذا يرد في «مدار السرطان» (1934) التي صدرت في باريس ومُنعت في الولايات المتحدة. هي وما تلاها من روايات «ربيع أسود» (1936) و«مدار الجدي» (1939) صدرت أخيراً في طبعة جديدة عن «دار المدى» بترجمة أسامة منزلجي الذي اقترن اسمه بترجمة ميللر منذ الثمانينيات.

كان على ميللر أن ينتظر أكثر من 20 سنة بعد عودته إلى أميركا عام 1940، لينجح المحامي الشهير ألمر غيرتز في الحصول على قرار قضائي يسمح بتداول رواياته وطبعها بوصفها أعمالاً إبداعية. حينها، كان الكتّاب العظام يتحدثون عن «مدار السرطان» همساً. عزرا باوند قال عنها «كم كتاب قذر يستحق القراءة»، بينما ذهب جورج أورويل في مقال «في جوف حوت» إلى اعتبار مولر كاتباً غير عادي ووصف «مداره» بـ«إنه كتاب رجل سعيد». عبارة تختزل ملمحاً من أدب ميللر أو كما يقول ميللر نفسه «لا أملك أي نقود، لا موارد، لا آمال، أنا أسعد إنسان على قيد الحياة. قبل عام، قبل ستة أشهر، كنت أظن أني فنان. لم أعد أفكر في هذا، فأنا فنان فعلاً. كل ما كان أدباً سقط منّي، ولا مزيد لكتب تكتب، فشكراً لله». هكذا يخبرنا في أول صفحة من «مدار السرطان» ويتساءل: «فما هذا إذاً؟ هذا ليس كتاباً، هو تشهير، افتراء، تشويه سمعة، هذا ليس كتاباً، ليس بالمعنى العادي للكلمة. لا، هو إهانة طويلة، بصقة على وجه الفن، رفسة على قفا الله، والإنسان، والقدر، والزمن، والحب، والجمال...».

الإنسان السعيد سيواصل تلك السعادة في «ربيع أسود»، كما لو أنّ الفرح لديه باريسي بامتياز، تدخله سوداوية نيويوركية متى استعاد حياته في الحيّ الرابع عشر، حيث رأى «شمس السفلس العظيمة تغرب»، واجداً فيها مستقبل حي البرونكس والعالم الحديث، ومؤكداً أن لا نجوم جديدة في الأفق، بل كوارث. هو الذي كان لا يكتب أدباً، وإيمانه الراسخ يتمثل في: «إن الذي لا يحدث في عراء الشارع المفتوح مصدره زائف، أي إنه أدب».

الربيع الذي يريده ميللر أسود مسكوناً بتشرده ونومه في المراحيض، سيقوده إلى إنهاء تلك الرواية بفصل عظيم عنوانه «مهووس المدينة العظمى»، ومَن ينسى بدايته: «تكون المدينة في أوج جمالها حين تبدأ جلبة الموت العذب...»، وحديثه عن القطيع الهائل تقوده الوحشة وبحثه عن الله والمفرقعات النارية تفرقع في ثقب مؤخرته.

من هذا المهووس سيقفز إلى «مدار الجدي». مع هذه الرواية سنتعرّف إلى أميركا ميللر، سيفتح بركلة قدم ومعه جوقة من سعاة البريد أبواب الجحيم. وكعادة ميللر ــ أبو أدب السيرة الذاتية ــ ستتدافع العبارات وتتلاطم وتتدفق جارفة معها مصائر أشخاص عرفهم في مؤسسة البريد وهذياناتهم ومصائرهم الإجرامية. في «مدار الجدي»، يستوقفك مقطع مدهش «حين أفكر في بعض الفارسيين والعرب الذين عرفتهم، حين أفكر في الشخصية الراقية التي كشفوا عنها، بكياستهم، برقتهم، بذكائهم، بقدسيتهم، أبصقُ على فاتحي العالم البيض، على البريطانيين المنحطين، والألمان برؤوسهم الخنزيرية، والفرنسيين الواثقين من أنفسهم حتى الغرور، الأرض هي وجود واحد حساس وعظيم، وكوكب مشبع قلباً وقالباً بالإنسان...».

«كم كتاب قذر يستحقّ القراءة» (عزرا باوند عن «مدار السرطان») ميللر، ودائماً منحازاً إلى البدائية، إلى صرخات خارجة من اللحم، يرى الحضارة انهياراً متواصلاً، وبما يتخطى أوزوالد سبنغلر الذي انهوس ميللر بكتابه «سقوط الغرب»، بينما يردد وهو يجوب شوارع أميركا «لقد جبت شوارع الكثير من بلدان العالم، لكنني لم أشعر في أيّ منها بأني منحطّ ومذلّ كما أشعر وأنا في أميركا».

في «مدار الجدي»، ليس ميللر ذلك الإنسان السعيد في «مدار السرطان». هنا تجري أحداث الكتاب كاملةً في أميركا التي يخاطبها بـ«الخواء البرقي الكوني». وهنا لا يقتلنا من الضحك حين يتحدث عن لحية بوريس الذي ينتف شعيرات منها ويلصقها على عضو تانيا الدافئ، بينما يسترسل في الحديث عن مقابض الأبواب والشموع الرومانية التي تستخدمها في إخماد شهواتها المتفجرة. هنا، عينه لا تفارق أميركا وما تمثّله بالنسبة إليه، وهو يستشرف المستقبل ويشرّح الحاضر. الأمر الذي لم يغفر له أميركياً، رغم أنّ ميللر لم ولن يكون من كتّاب أميركا الرسميّ

يهود العراق .. ذكريات وشجون

الاسماعيليون في العصر الوسيط

تأليف/ د. فرهاد دفتري
ترجمة/ سيف الدين القصير
تتناول فصول الكتاب، وهي التي غطت موضوعات مختارة وتطورات لها علاقة بفترة ما قبل الفاطميين والفترة الفاطمية والنزارية في التاريخ الاسماعيلي. تتناول مجالاً واسعاً ومنوعاً من الموضوعات التي تراوحت ما بين قرامطة البحرين وعلاقاتهم بالفاطميين والعقيدة الكوزمولوجية الاقدم للاسماعيليين.

هذه المذكرات التي طبعت في بغداد قبل اسابيع قليلة وبدون عمل المؤلف الذي تأسف كثيراً على صدور هذه الطبعة البغدادية قبل مراجعتها وتصحيحها من حيث الاخطاء المطبعية وبعض التواريخ والاسماء والتي لم تكتمل حلقتها بعد .. صدر الكتاب بعنوان " يهود العراق .. ذكريات وشجون " تأليف شموئيل موريه " ووضعت صورة المؤلف على الغلاف.

يذكر موريه في مذكراته انه قضى طفولته الباكرة في محلة حنون في بغداد القديمة ، وأنتقلت عائلته عام 1936 الى منطقة البتاويين مقابل بستان مامو ، ويذكر هذه المنطقة في مذكراته مرات عديدة ويحلم ان تتكحل عيناه برؤيتها ورؤية مدرسته " السعدون النموذجية " ومدرسته الست " فاطمة " و هي مدرسة التاريخ والطبيعة في مدرسة السعدون النموذجية في بغداد.. هاجر موريه قسراً من العراق الى اسرائيل بعد حملة التهجير القسرية ليهود العراق في منتصف القرن العشرين حيث يذكر «وضرب القدر ضربته ورحلنا إلى إسرائيل، وانهمكنا في الدراسة والعمل لنداوي بها جراحات الماضي وأهوال الحاضر بانتقالنا من عزّ العراق، مهما كان ثمنه، إلى ذلّ الحاضر في خيام معسكرات اللاجئين الجدد من جميع أرجاء العالم والوقوف في طوابير الماء وبيت الخلاء والخبز وشراء اللحم والبيض والزبد بالكابونات والعمل كعمال بسطاء، رغم ثقافتنا، في البناء لنقل أكياس الإسمنت والحصى والرمل على ظهورنا كما كان يفعل «العمالة» الذين كانوا يعملون عند والدي في البيوت التي كان يبنيها! بكيْتُ عندما جاء أخي ريمون يبشرني: «والله عندك حظ! أول يوم وشِفتْ

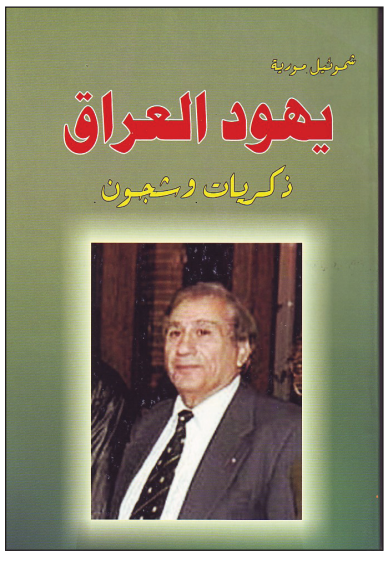

(وعثرت على) شغل بالعمالة (البناء)!» قلت له: «ما هذا الفرح بعمل حقير حصلت عليه بعد عزّ العراق»، وما تعرف خيري لما تجرب غيري، صرنا نشتغل بالبناء مثل الفقراء؟» ويل العراق ماذا فعل بأبنائه المخلصين! قالت خالتي كرجية وهي امرأة متدينة تؤمن بالكتاب المقدس: «هذا قدر مكتوب علينا، لا يُشْتَرى خلاص بني إسرائيل إلا بالعذاب» ، هاجر وعيونه ترنو نحو العراق، يحن ويئن على بغداد وفراقها « لَيْتَنِي أَعُودُ إلى العِرَاقِ يَوْمًا، فَأُحَدِّثُهُ بِمَا فَعَلَ الفِرَاقُ »

ويذكر موريه انه عند نشر الحلقات الاولى من مذكراته يعاهد نفسه دائماً على عدم العودة والكتابة عنها مرة اخرى، ولكنه ينكث عهده الذي قطعه على نفسه، إكراما لعيون القراء العراقيين الذين يتابعون بشغف، وهو يتحدث عن والده ابراهيم المعلم حيث يذكر موريه «ومثل باقي اليهود الذين تعلقوا بالعراق ولم يفرطوا فيه، أبى والدي «تسقيط» جنسيته العراقية عام 1951 وفضل البقاء في بغداد، كان يقول لنا «يجب العمل بوصية التوراة والإخلاص للبلد الذي يؤوينا. لقد تمتعنا بخيرات العراق وعلينا احترام قوانينها؟. ولما سألناه إذا كان مزمعا على إسقاط الجنسية العراق لأن الوالدة لا ترى لأبنائها مستقبلا زاهرا في العراق، قال لنا: «أنا عشت إلفين وخمسماية سنة بالعراق وأجي اتركا ابخمس دقايق، أنا أش أغوح أسوي ويا هذولي الصهاينة بأيرص يسرائيل ابهل عمغ؟ خو مبعدني شاب اللطيف مثلكم!» (عشت في العراق 2500 سنة وأتركها بخمس دقائق! ماذا أفعل في إسرائيل مع هؤلاء الصهاينة في مثل سني، فأنا لم اعد شابا مثلكم). غضبت الوالدة، «أتتركنا لأجل عراقك الفرهودي؟»

قراءة مذكرات د. موريه توجع قلب قارئها وتدمع عينه ، فهو لفرط محبته وحنينه للعراق صار حجة ليهود العراق ومسلميه ومسيحييه ففي قصيدة مهداة الى جميع العراقي في كل مكان يقول فيها :

قالت لي أمي ، والأسى في عينيها:
«ظلمونا في العراق،
وضاقَ المُقامُ بنا يا ولدي،
فما لنا و»للصبر الجميل» ؟
فهيا بنا للرحيل!»
وعندما بلغنا الوصيدا،
قالت لي: «يا ولدي لا تَحزنْ،
إللّي ما يريدكْ لا تريدَهْ»،
هَمستْ: « يا حافرَ البير «
«بربكَ قلْ لي لهذا سببْ؟ «
ورَحلنا ...

كتاب الطبيعة.. والصلة المتناغمة بين العلم و الدين

ترجمة / عادل الصادق

يمكن لاستعارة غاليلو الشهيرة " كتاب الطبيعة " ، التي كان يستخدمها للدفاع عن عمل العلماء إزاء السلطات الدينية ، أن تتسم بالخطورة اليوم ، كما يقول رويرت كريس .

ففي عام ١٦٢٣ ، اصطنع غاليلو استعارة ما زالت ترد في الغالب على ألسنة العلماء .

فالطبيعة ، كما قال ، كتاب مكتوب بـ " لغة الرياضيات " . و إذا لم نستطع أن نفهم تلك اللغة

، سنكون محكومين بالتخبط هنا و هناك كما لو " في متاهة معتمة " . و كما هي الحال مع غيرها من الاستعارات ، فإن لهذه الاستعارة وجهين : فهي متبصرة insightful ، و لكن يمكن أن تكون مضللة إذا ما أُخذت حرفياً . فهي تستولي على إدراكنا أن حقائق الطبيعة مفروضة بطريقة ما علينا . أنها مدموغة في العالم . و هي تؤكد الدور الأساسي الذي تقوم به الرياضيات في التعبير عن تلك الحقائق .

غير أن غاليلو ابتكر الاستعارة لغرض معين . و بانتزاعه هذا المفهوم من سياقه التاريخي و وضعه في سياقنا نحن، يمكن أن يكون مضللاً بطريقة خطرة .

على كل حال ، إن فكرة كتاب الطبيعة لم تنشأ مع غاليلو . فلقرون عديدة ظلت جزءاً من اعتقاد ديني بأن العالم يحتوي على كتابين أساسيين . فالطبيعة ، و هي الكتاب الأول ، مليء بالإشارات التي توحي بمعنىً أعمق حين تُفسَّر وفقاً للكتاب المقدس ، و هو الكتاب الثاني ، الذي يزودنا بالمعنى المطلق أو تركيب إشارات الطبيعة . و كان فهم الأمور يتطلب قراءة الكتابين معاً ، و المضي إلى الوراء و إلى الأمام ما بين ما يجده المرء في العالم و ما يقرأه في الكتاب المقدس . و في الحقيقة ، كانت قراءة الإنجيل فيما مضى جزءاً و حزمة من دراسة الطبيعة ، و ليست غير علمية بأية حال .

و مهما كان الأمر، فخلال عصر التنوير صار الدارسون يدركون على نحو أكثر ذكاءً أن من غير السهل على الدوام تمييز حقائق الطبيعة . و بالأحرى ، فإن مثل هذه الحقائق غالباً ما تكون مشفّرة بطريقة ذكية في الطبيعة و لهذا يتطلب الأمر تدريباً خاصاً لفكها . و في غضون ذلك ، أحدث الإصلاح البروتستانتي تغيرات في فهم النصوص ، مؤكداً على الحقائق التي كانت دقيقة و تامة في ذاتها أكثر مما هي رمزية أو مجازية .

و بناءً على هذه التغيرات العلمية و الدينية ، قرر غاليلو عام ١٦٢٣ أن يخصص استعارة " الكتابين " لأغراضه هو ليتخلص من ورطة . و كانت متاعبه ، في الحقبقة ، قد بدأت قبل عقد من الزمن ، عندما كان أحد تلامذته يناقش عمل غاليلو و لاحظ أحد المشاركين التضارب بين الكتاب المقدس و ادعاءات غاليلو العلمية ، و خاصةً فيما يتعلق بحركة الأرض . و كانت السلطات أيضاً تهدد بوضع De Plevolutionibus ، الذي كتبه حليف غاليلو الفكري كوبرنيكوس ، على القائمة الرسمية للكتب الممنوعة لأسباب مماثلة.

فكتب غاليلو ، القلق على نفسه و على علماء آخرين ، رسالة إلى الدوقة الكبيرة كريستينا بشأن الصلة بين العلم و الكتاب المقدس. و في تلك الرسالة التجأ إلى الفكرة التقليدية بأن الله يكشف عن نفسه للبشر في كتابين . الطبيعة و الكتاب المقدس . و أشار إلى أن كلا الكتابين يعبران عن حقائق أبدية و هما متناغمان لأنهما للمؤلف نفسه . الله الذي يقول الشيء نفسه بطريقتين مختلفتين.

و يبدو أن حجج غاليلو قد أقنعت كريستينا ، لكن ليس السلطات . ففي عام ١٦١٦ ، وُضع De Plevolutionibus على القائمة إياها ، متبوعاً بكتاب كيبلر المدرسي عن النظرية الكوبرنيكوسية في الفلك في عام ١٦١٩ ، و أصبح غاليلو نفسه عرضة للهجوم . و رداً على ذلك إلى حد ما ، كتب " المحلل The Assayer " ، الذي يتضمن العبارة الشهيرة " إن الكتاب الكبير للكون ... لا يمكن فهمه ما لم يتعلم المرء أولاً فهم اللغة و قراءة الألفباء التي يتألف منها ... لغة الرياضيات . " و كان أولئك المتضلعون في الرياضيات و الفيزياء ، بتعبير آخر، يستطيعون معرفة أوجه منجَز الله الذي لا يستطيع غيرهم معرفته .

غاليلو

و اختار غاليلو استعارته بعناية ، و كانت جذورها عميقة في الميتافيزيقيا و اللاهوت الغربي فهي ، أولاً ، كانت تستخدم الفكرة التقليدية القائلة بأن الله يكشف عن قوته ، و عظمته ، و حقيقته في العالم . و ثانياً ، كانت تعتمد على الملاحظة التقليدية بالتساوي التي تفيد بأن الإنجيل لا يمكنه أن يقف بالضد من تجليات المنطق الواضحة أو الحواس . و أخيراً ، كانت تحتكم إلى التناظر المقدس بالقدَم time-honoured للطبيعة ككتاب . فكان غاليلو على أرضية لاهوتية صلبة .

و في الحقيقة ، كان غاليلو قد أوقف المفهوم القديم على رأسه ، حتى و إن لم يكن مدركاً تماماً لما قد فعل . فقد تضمن مفهوم كتاب الطبيعة الآن شيئاً ما مضاداً تقريبا لما كان ينطوي عليه من قبل . أن إشارات الطبيعة كان لها معناها التام في ذاته و الخاص بها . و لفهم الطبيعة ما كان المرء سيحتاج إلى الإنجيل كعون لاهوتي ؛ فقد كانت دراسة الطبيعة نشاطاً مستقلاً يقوم به على أفضل وجه صنفٌ مهني منفصل من الدارسين . و إذا كان كتاب الطبيعة أي شيء ، فإنه أصبح الآن النص الابتدائي . برنامج العمل ، المكتوب بلغة تقَنيَّة . و الكتاب المقدس هو كتيِّب المستعمل ، المكتوب بلغة شعبية .

و كان غاليلو يشير إلى أن العلماء ذوو سلطة كرجال الدين . و كما يلاحظ بيتر هاريسون في كتابه (الإنجيل ، البروتستانتية ، و نهضة العلم الطبيعي) ، فإن " كتاب الطبيعة و أولئك الذين فسروه ... قد قاموا بجزء من الدور الذي لعبته سابقاً الأسرار المقدسة و جماعة الكهنة المعيَّنين . "

غير أن مفهوم كتاب الطبيعة يمكنه أن يلازم أفكارنا اليوم . و أحد الأسباب لذلك هو أنه يتضمن وجود حقيقة متماسكة نهائية . نص كامل أو " نظرية أخيرة " . و بينما يمكن أن يؤمن بهذا علماء كثيرون ، فإنه في النهاية اعتقاد لا أكثر ، و أن من الأرجح إلى حد بعيد أننا سنجد المزيد من ذلك في الطبيعة مع استمرار مفاهيمنا و تكنولوجيانا بالتطور .

و الأكثر من هذا ، يوحي المفهوم بأن لـ " نص " كتاب الطبيعة أصلاً مقدساً . فقد كانت فكرة أن العالم هو مجموعة الأعمال الكاملة oeuvre لمؤلف فوق بشري هي البشير precursor للفكرة القائلة بأنه المشروع الهندسي لمصمم مفكر . و هذا المعنى الضمني قد أدى ببعض علماء الاجتماع المعاصرين إلى الاستسلام لإغراء التميّز كعلماء يتصرفون ، و يسعون لأن يتصرفوا ، بطريقة القسَس .

و الدرس الأهم الذي ينبغي أن نجده في مفهوم غاليلو أو استعارته هو الحاجة إلى الحفاظ على تطوير و تنقيح الاستعارات التي نتكلم بها عن العلم .

عن / Physics web

افاق

(2-1)

الجابري في مكتبة مؤيد

سعد محمد رحيم

بين محل بقالة، وآخر لتصليح الدراجات الهوائية، وفي مواجهة مطعم شعبي، وكشك صغير لبيع الشاي على الرصيف، ومخزن ثلج، وعلى شارع باتجاه واحد يفضي إلى كراج عمومي كانت مكتبة مؤيد سامي.. صورة صارخة من أرشيفنا السريالي في تسعينيات بعقوبة، حيث الحصار يقرض الآمال ويسرق البريق من عيون الناس. وحيث حالنا جميعاً قلق، لا يستكين، مما يخبئ الغد. وخوف من أن تكون للحيطان حواس خمس وأخرى سادسة لكشف النوايا والمقاصد الدفينة.. عند هذه الناصية المشرفة على المجهول كانت المكتبة شيئاً باهراً ينتمي لجهة العبث في نظر بعضهم، أو لمنطق التشبث بالحياة عند بعضهم الآخر.. شيء على الرغم من جديته المفرطة فإنه يحمل مسحة رقيقة من الفكاهة. ولذا كان ثمة من يقف مبتسماً عند مدخل المكتبة (وهي دكان صغير) يحدج بتل الكتب على الأرض، ويقرأ اللافتة الكرتونية الصغيرة؛ (الكتاب بمئة دينار) ثم يرفع رأسه إلى الرفوف المزدانة بالكتب الأغلى وابتسامته تتسع قبل أن يسأل ذلك السؤال المثقل بالسخرية والشفقة والإنكار: "هسه، ابهل زلك هَمْ أكو واحد يشتري اكتاب؟". فيرد عليه مؤيد بابتسامة عريضة ونبرة حاسمة: لا.. ثم يقهقه مردفاً ليقطع على الشخص الواقف سبيل السؤال المكمِّل المنطقي: "لعد شكو مفتح؟". فتسري عدوى الضحك بين الحاضرين في المكان.

في هذا المكان الذي لا يخلو من اللامعقول كان بعض النقاش يخص محمد عابد الجابري ومشروعه الفكري.. كان كتاب (نقد العقل العربي) بأجزائه الثلاثة (التكوين والبنية والعقل السياسي، قبل أن يصلنا الجزء الرابع عن العقل الأخلاقي) فضلاً عن كتبه الأخرى (العصبية والدولة، نحن والتراث، مدخل إلى فلسفة العلوم، الخ) متاحة لنا، نستلها من الرفوف ونقرأ.. كان ذلك المشروع كبيراً ومغرياً يتحدى العقل ويحرّك ملكة التفكير، ويُغرق القارئ بالأسئلة.. كان المشروع من الضخامة إلى الحد الذي صار من المستحيل أن ينجو من الثغرات ومواضع الضعف. ومع ذلك يبقى مشروعاً فذاً.. كنا في سجالاتنا أنا ومؤيد، وأحياناً بمشاركة بعض الأصدقاء منهم: (الإبراهيمان البهرزي والخياط، حاتم وفراس الشيبانيان، كاظم الواسطي، منير العبيدي، صلاح زنكنة، حسين التميمي). نختلف مع طروحات الجابري ونعترف بفضله على الفكر العربي المعاصر في الوقت نفسه، لأنه أثار إشكاليات لم يكن بالحسبان، ودخل مناطق للفكر ممنوعة، وحاول استنطاق بعض المسكوت عنه، وحفّز الآخرين لقراءته والاتفاق معه أو مخالفته. فشُرعت سبل لحوارات فكرية خصبة ومثمرة شارك فيها عشرات المفكرين العرب ومنهم حسن حنفي. وكان مؤيد يحتفظ بمعظم أعداد مجلة اليوم السابع المتضمنة لنصوص حوارات الجابري والحنفي التي احتدمت في فاتحة تسعينيات القرن المنصرم.

أذكر أننا خضنا نقاشاً مستفيضاً عن مفهوم (تبيئة المفاهيم) الذي ورد في كتاب الجابري: (المثقفون في الحضارة العربية: محنة ابن حنبل ونكبة ابن رشد). حيث التبيئة في اصطلاحه؛ "تعني ربط المفهوم بالحقل المنقول إليه ربطاً عضوياً، وذلك ببناء مرجعية له فيه تمنحه المشروعية والسلطة، سلطة المفهوم، في آن واحد". ولأننا كنا مهتمين بمفهوم المثقف: من هو المثقف، وهل يشكل المثقفون طبقة أو شريحة مستقلة، وما وظيفة المثقف الآن في بلادنا؟ وعلاقة المثقف بالسلطة. فإن ما طرحه الجابري حول هذه المسائل صار جزءاً من مجال أحاديثنا وحواراتنا. وحين قدّمنا (أنا ومؤيد) عرضاً مشتركاً لكتاب إدوارد سعيد (صور المثقف) في أمسية لاتحاد أدباء ديالى عدنا إلى ما قاله الجابري بهذا الصدد. وتوقفنا طويلاً عند فكرته عن ظهور المثقفين في حضارتنا العربية الإسلامية بعدما اقترن ظهور المثقفين في أوربا العصر الوسيط "بنشأة المدن وتأسيس الجامعات والاحتكاك بالثقافة العربية الإسلامية عبر الترجمة" في مقابل أن "الجيل الأول من المثقفين في الحضارة العربية الإسلامية قد ارتبط ظهوره... بظهور (الخلاف) وتحوله إلى (فتنة) عملية وفكرية".

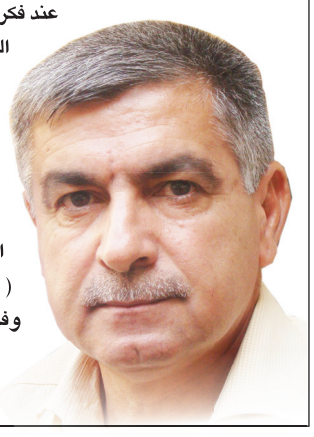

اصدارات دار المدى للثقافة والنشر

ماريو بارغاس يوسا

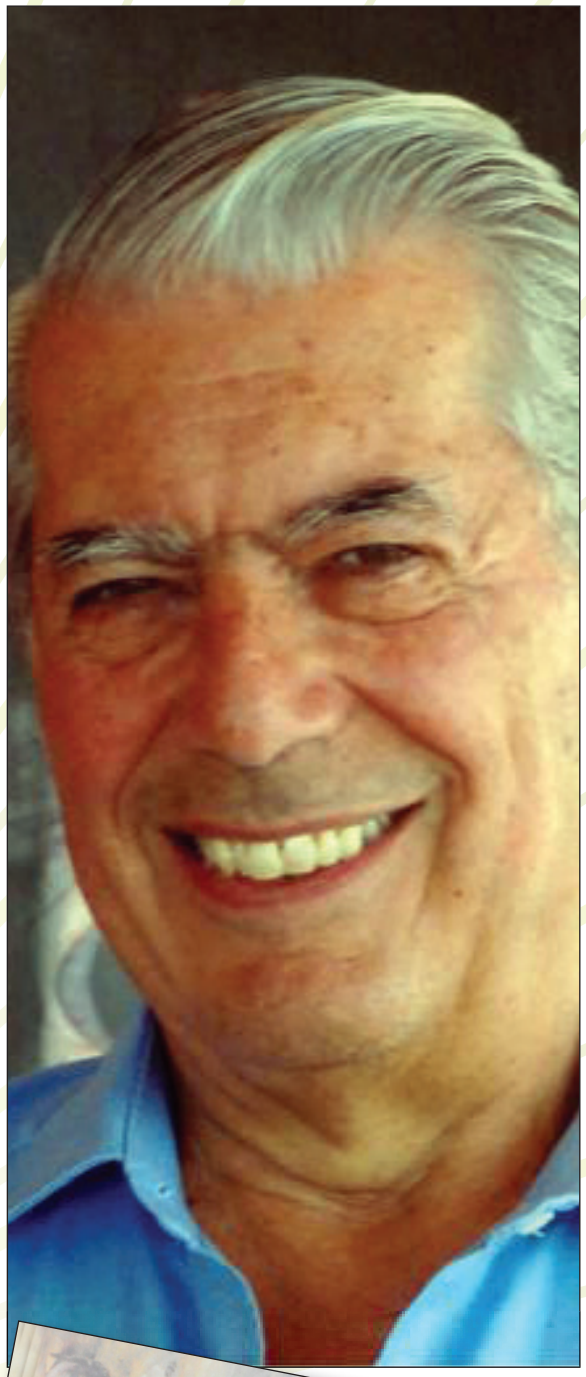

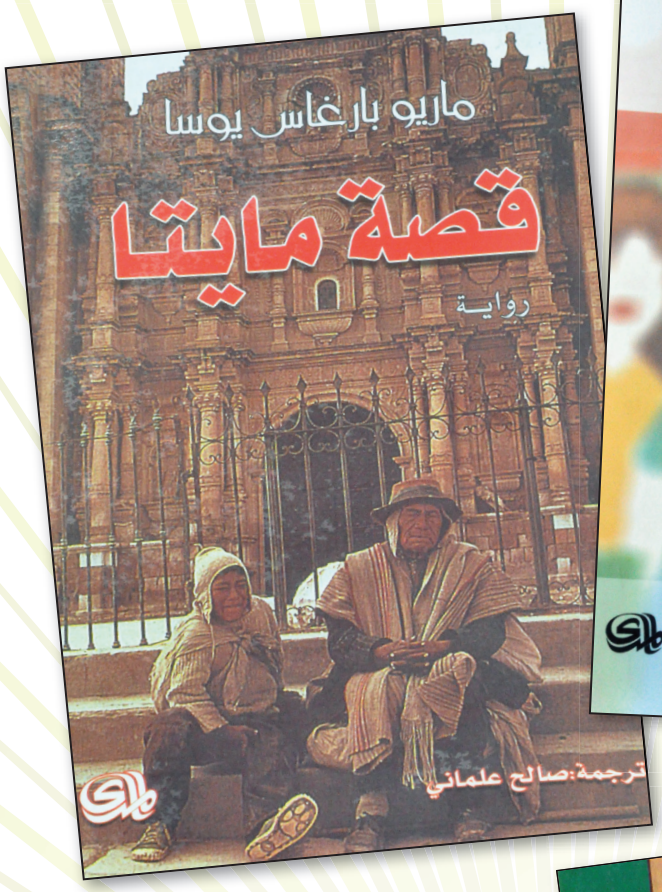

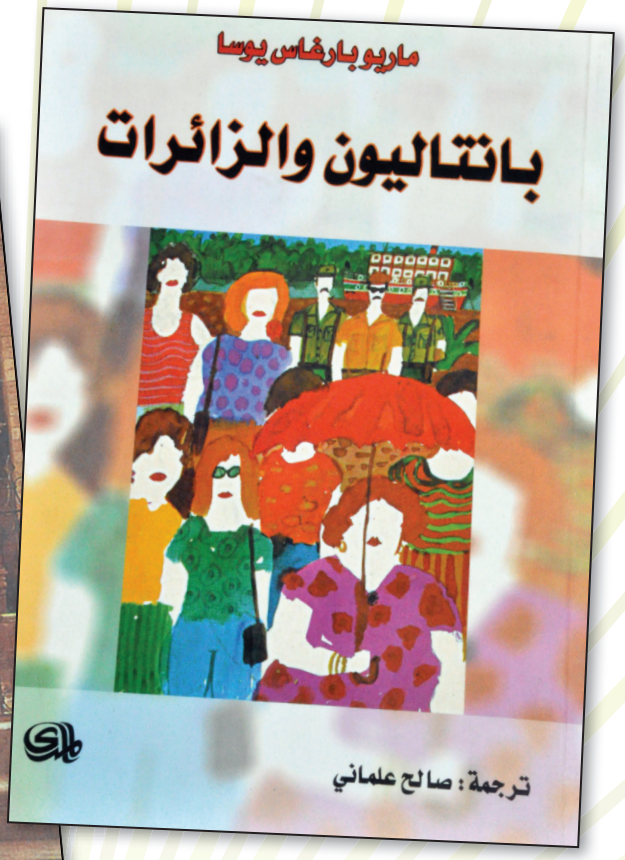

تطلب من مكتبة المدى وفروعها: بغداد - شارع السعدون - قرب نفق التحرير .. بغداد - شارع المتنبي - فوق مقهى الشابندر .. اربيل - شارع برايه تي - قرب كوك

تحرير | علي حسين - علاء المفرجي

الاخراج الفني | مصطفى جعفر

التصحيح اللغوي | يونس الخطيب